ذاكرةٌ لازورديَّة

قراءات وشهادات في تجربة نمر سعدي الشعريَّة

لمجموعة من المؤلفين

استعارات جسديَّة لنمر سعدي

"ولكني أحاول أن أكون وأن أغنِّي...."

محمد الهادي الجزيري

شاعر من تونس

حين "خربشت" قصيدتي الأولىٰ اعترفت بأني شاعر أحد، ولمّا بلغت السادسة عشرة من عمري كان أندادي في الشعر المتنبي وأبو نواس وعنترة ربّما، ويوم بدأت أكتب القصيدة صار لي رفاق كالمنصف الوهايبي وأبي القاسم الشابي..، وحين سافرت في الأرض وأكلت عديد الثمار الشعرية أصبح لي إخوة شعراء كحسين القاصد وعبد الله العريمي وفاطمة بن فضيلة..، وفي كلّ مرّة أفتح الباب جهارا لشاعر فحل وصار لي أصدقاء مبدعون بعدد لا يُحصىٰ..وتنازلت عن اعتقادي الراسخ بأنني شاعر أحد، بل أنتمي لمجموعة كبيرة من النفوس العظيمة..ورضيت بما قدّر الله لي..ولكن ماذا أفعل بهذا السيل الهادر الذي يبدأ اسمه ب : نمر سعدي...، وأنا علىٰ مشارف الستِّين..سأقول الحقيقة كما هي : إنّه

الاستثناء والامتياز..إنه حرارة الروح وهشاشة الجسد..إنه الإنسان الشاعر...

بداية أشكر أنوار سرحان لربطي به بعد انفصال دام بعض الوقت..، نظرا لسقوطي في فراش المرض وصبري الطويل علىٰ وعكتي الصحيّة..التي بدأت أشفىٰ منها، وكنت قد نسيته تماما وكان أن اقترحت أنوار مجموعته الشعرية " استعارات جسديّة " فأصيبت ذاكرتي برجّة كبرىٰ ...هذا الرجل أعرفه..وكان أن عدت إلىٰ مراسلاتنا الثنائية فتذكرت أنه الشاعر الفذّ الذي انمحىٰ اسمه من ذاكرتي..فعدت إلىٰ محاورته داخل النص وخارجه..

في قصيدته النثرية الطويلة نسبيا التي افتتح بها مجموعته " ثعلب ينام في حدائق السرياليين" والمقسمة إلىٰ أجزاء نراه يتنقّل من اليوتوب إلىٰ فيروز إلىٰ ظلّ الحبيبة إلىٰ " الشعراء أنبياء كذبة " وإلىٰ الحرّية التي نهفو إليها جميعا ...، دون أن ينسىٰ القصيدة ومدحها كما يجب..يقول عنها:

"الشيء الوحيد الذي تفعله عندما تأتي هو أن تمدّ يدها النحيلة مثل عود ثقاب، وبدهشة طفل غجريّ تشعل وردة دمي المطفأة"

يكتب القصيدة الموزونة كما يكتب النثر..، يجرّ التفعيلة جرّا ويسحب خلفها جملة طويلة تتلوها أخرىٰ..دون اختيار أو تمييز أو ما شابه ذلك..، من لا يعرف الوزن يحسبه ناثرا جيّدا..وهو لا أحد

سوىٰ نمر سعدي يقترف قصيدته بجنون وجموح وجمال..، أنصتوا إليه في قصيدة " في اللوحة امرأتان " كيف يتودّد لمن يحبّها ويعدّد ما ضيّع من حياته:

"قلت لها: اتبعيني مثل ذئب ضلّ، أو كسهام نار في الفلاة، فإنّ هذا العام ضاع سدىٰ ولم أغسل بلمعة شعرك العينين ؟"

أحيانا يشدّنا سطر شعريّ..أو تعبير مغاير للسائد فتضمّه إلىٰ مقتطفاتك دون أي تفسير أو أيّ تبرير..، وتقول للآخر المتابع لنصّك : هذا القول هزّني..فيطرب مثلك أو يدعك لنفسك ولأهوائك وهواجسك..، هذا ما يقع لي وأنا أقرأ هذا المقطع في قصيدة بعنوان " كم مرّة ستُحبّ ؟ "..ليتني كتبته قبلك يا نمر سعدي لأرتاح وأريح:...

"لم تكن أعمىٰ لتذكر أو لتنسىٰ، لم تكن أعمىٰ ولكن كنت وحدك كالغريب، وكنت وحدك كانسحاب يديك من جسد الحبيب"...

في نصّ محكم وجميل عنوانه " ماذا تريد من الحياة ؟ " يجيب عن السؤال الخطير الذي يلقيه الشاعر علىٰ نفسه وهو سؤال الجدوىٰ من كلّ هذا الطواف ببيت القصيدة وصنم الحياة..يجيب بصفة عفوية ويقول " لا أدري "..." ولكني أحاول أن أكون وأن أغنّي...."

"ماذا تريدُ من الحياةِ أو القصيدةِ؟ قالَ لي أحدٌ، أجبتُ بلستُ أدري، ربَّما ما كانَ يبغي الآخرونَ، العاملُ البلديُّ والشرطيُّ، مأمورُ الجمارِكِ، نادلُ البارِ الوحيدُ وبائعُ الذُرةِ الشريدُ، وربَّما لا شيءَ، لا أدري، الحياةُ متاهتي الكبرىٰ، القصيدةُ ليلُ هاويتي، ولكني أحاولُ أن أكونَ وأن أُغنِّي، أن أُحدِّقَ في فراغِ الكأسِ أحيانًا، وأن أتوسَّلَ النسيانَ، لستُ أرىٰ طريقًا لا تقودُ إلىٰ القصيدةِ أو إليَّ"...

من الصعب تلخيص شاعر في حجم نمر سعدي في مقالة أو حتّىٰ دراسة نقدية شاملة تحاور كلّ ما كتبه هذا المتمكن المنفلت في الآن نفسه..، لقد وقعت في الفخّ يوم أردت ولوج عالمه الشعري..فإنّه غزير الإنتاج وله مخزون ثريّ من الموضوعات المختلفة وهو مقترف لكلّ أشكال الكتابة الشعرية..خلاصة القول : فلسطين أنجبت مرّة أخرىٰ..أنجبت... شاعرا.

***

ساعاتٌ على أرجوحةِ الريح

أحمد أنيس عظيمي

شاعر من الجزائر

قرأتُ مؤخَّرًا الكثيرَ من شعرهِ و نثرِهِ، فهِمْتُ بشاعريّتِهِ الرّقيقةِ البيضاء و بإشعاعها، إنّهَا لَتُشْبِهُ أرجوحةً للرّوحِ في حديقةٍ يفعمها هواءُ الحياةِ علىٰ اختلاف محويّاته، و مع كلِّ تأرجُحٍ ينعشنا شيءٌ من ذاك الهواء الأزرق الورديّ.

أمّا الّذي أعجبني فيهِ بشدّةٍ و لم أجِدْهُ في غيرِهِ إلّا نادرًا فشفافيّتهُ و روحهُ الجميلة، فهو مليحٌ و صادقٌ ونصوصهُ النّثريّةُ قرَّبَتْهُ إلىٰ قلبي أكثر، فقد جاءَت عذبةً خاليةً من التّجهّم و العبوس، متفتّحةً للنّاسِ كوردةٍ لا يمرُّ بها الواحدُ إلّا و قد أنعشه عطرها الفوّاح، و ما هي إلّا مرآةٌ لهُ، فهي مطبوعةٌ لا جدالَ بين شخصينِ حول هذا.

كانتْ قراءتي للشاعر الفلسطيني نمر سعدي فوضويَّةً إذ كنتُ أكتفي بقراءة شعره و نثره من المنتديات عشوائيًّا، إلىٰ أن أرسلَ لي دواوينَهُ : " رماد الغواية " و " وصايا العاشق " و " استعارات

جسديّة "، و قد أوْلَجَتْنِي هذه الدّواوينُ عالَمَهُ الشِّعْرِيَّ بشكلٍ أكثر من جيّد.

كان ديوانُ وصايا العاشِقِ مشعًّا بحزنٍ عميقٍ يطلُّ من بينِ الأحرفِ بشكلٍ خافتٍ حتّىٰ ليُخَيَّلُ إليكَ معهُ أنّهُ غيرُ موجودٍ -أحيانًا- بلغته النّاهلةِ من كلّ آبارِ الدّهشة، و المتشبّعة من مختلف الثّقافاتِ القديمةِ و الحديثةِ، والمتوّجةِ بخيالٍ نادرِ النّظير، يأخذنا الشّاعرُ إلىٰ عالمٍ جمعَ بينَ الجمالِ و العذابِ، عذابِ الحبّ و الفقد، وجمالٍ وُلِدَ من ترويض ذاك العذاب، و كما اعتدنا دائمًا في خضمّ القراءةِ لنمر سعدي، كانَ مدهشًا.

أمّا رمادُ الغوايةِ فقد كانتْ قراءتُهُ بالنّسبةِ لي كقضاءِ يومٍ مع الشّاعرِ في حانَةٍ، و لا أقصدُ بهذا أنّهُ مُمَجْمَجٌ أو أيّ شيءٍ من هذا القبيل، حاشىٰ أن أفعل، بل أقصدُ أنّهُ حوىٰ تفاصيلًا قلّما يتناولها الشّعراءُ في شعرهم، رغم أنّهم يلاحظونها، و يتحدّثونَ عنها - ربَّما - أحيانًا إذ يسكرون، خذ مثالًا مقطعه الّذي استُهْتِرتُ به طويلًا:

لرائحةِ العطر روحٌ وظلٌّ
وإن كانَ لا
فلماذا تصابُ بما يشبه الكهرباء الرّهيفة
أو برذاذ الرّبيع المفاجئ
أو تقتفي طائرًا لا يُرَى ؟

هل لأنّك حينَ تذوّقْتَ
جمرَ النّداءِ الخفيّ
إلى ما وراءك
أو راودتكَ الظّنون المريبةُ
عن ثمرٍ ناضجٍ في اليقينِ
التفتَّ إلى الخلفِ من دونِ جدوى
لتنقذَ ما يستغيث بعينيكَ تحت الرُّكامْ

بهذه الإيحاءاتِ الجميلةِ يحدّثنا الشّاعرُ عن متاهةٍ شعوريّةٍ يدخلها الواحدُ منّا إذ يشمُّ عطرًا كانَ يضعه قديمًا، وهذا الأمرُ يحصلُ دومًا، إذْ إنَّ رائحةَ العطرِ توقظُ الذّاكرةَ وتعيدُهَا إلىٰ العهدِ الّذي كان المرءُ يشمُّها فيه أو يستعملها، و هذا موضوعٌ آخر لا حاجة لنا بذكرهِ هنا.

في هذا الدّيوانِ مَخَرَ الشّاعرُ عُبَابَ الذّاتِ بشكلٍ لا يبدي أنّه تعمّد ذلك، فقد طرح هواجسه كشاعرٍ وجد في الشّعرِ مهربًا من تباريح الحياة وكإنسانٍ معذّبٍ يعجز أمام ما يهرب منه، لكن، يمكن التماس شيءٍ من الأمل بين هذا وذاك، ومن هذا الطّرحِ التّفصيليِّ جعل الشّاعر يداني الذّات ويلتقط دقائقها.

ديوانُ استعارات جسديّة كان مدهشًا، وقد تبيّن أنّني قرأت كثيرًا من قصائده قبل أن أحظىٰ به، غير أنّني لم أكتشف هذا بسرعةٍ، ذلك

أنَّ قصائدهُ من الشّعر الّذي يبقىٰ متماسكًا محافظًا علىٰ توهُّجهِ و لو بعد قراءته عشرات المرّات، كانتْ قصائدُ الدّيوانِ تصوِّر شخصَ الشّاعر و آراءَهُ، كما كانت مُعْنَاةً بالمرأةِ كثيرًا، وقد عَوَّمَتْهَا في مختلف المواضيع بطريقةٍ سلسةٍ تفيض بالشّاعريّة، وتشابَكَت الرّوحُ والجسدُ في هذا الدّيوانِ بشكلٍ رهيبٍ ومذهلٍ، لا يَسَعُ القارئ معه إلّا أن يفتح فاهُ وعيناهُ متَّسعتانِ من الدّهشة، كما طرحَ بعض التّساؤلاتِ الوجوديّة، و الحادّةِ أيضًا، ولم يَخْلُ من حزنٍ وألمٍ، غير أنّ الجمالَ الّذي حواهُ كانَ بمثابةِ بلسمٍ يُنَدْمِلُ كلُّ جرحٍ فتحهُ سطرٌ ما يشبه ذاتَ القارئ.

لا يسعني سوىٰ أن أقدّم أحرّ التّحيّاتِ لصديقي العزيز، الشّاعر المبدع، نمر سعدي، الذي كانَ جميلاً رائِقًا بشدّةٍ ورائعًا في دواوينهِ الثلاثةِ التي قرأتها، راجيـًا لهُ حياةً فردوسيَّةً بعيدةً عن كلّما ما يؤذيهِ، وحاويةً كلّ ما يسعد قلبهُ الرّقيق، وبلوغَ كلّ ما يتمنّاهُ شاعراً وإنسانـًا.

***

"استعارات جسديَّة" للشاعر نمر سعدي

خرائطُ الجرحِ في طينٍ أثيم

سلوى الرابحي

شاعرة من تونس

من خرائط الجسد وأشجاره، من مجاز القلب، من رمل يقلّب رمله في صحارىٰ الروح، من ملح يفرُّ من الأدمع المتجمدة، من شبابيك تطل علىٰ ذاكرة الإثم، من هناك، أطلَّت علينا قصائد نمر سعدي في كتاب وسمهُ ب " استعارات جسديَّة وأهداهُ إلىٰ "الوحيدات"، فهنَّ العزلة مسجونةً في الأنوثة وهنَّ المنتظرات لقصائد يكتبها الجسد المشتهىٰ، وهن الباسطات أياديهن للأقدار تخطُّ علىٰ كفوفهنَّ الآتي، وهن الغائبات عن طين الخزاف يشكلهن كما يريد، وهن الحاضرات في استعارات اللغة ووهم الشاعر.

نصوص تسكب الملح علىٰ الجرح وتحنِّط آلامه المبرحة بل وتذهب إلىٰ نكرانه في اللغة والصوت " فصوتي لا يبدو جافا مثل واد من الملح" لكنه يعترف بعد نكران بأن الملح ليس مسكوباً علىٰ الجرح وحسب بل هو يسري في دمه كالكرويات البيضاء ويضج

بالأسئلة والصراخ، يقول: "هل من خصلة وردية أم من نداء الملح في دمنا سينبلج النهارُ؟"

هو الكائن القائم علىٰ التناقض، ينكر الملح ويصدح بأصواتهِ ف "التناقض هو الملح الذي يحفظ الحقيقة من الفساد" علىٰ حد تعبير جون لانكستر سبالدنغ.

شاعر يسم كتابه باستعارات جسديَّة ويحدثنا عن هشاشة الروح وعنه ككاتب مقيم في الظلال، يحاول جمع شتاته أحيانا أو كسره أحيانا أخرىٰ، ككائن مستقل، كحقيقة يرفضها الجسد، كفكرة طليقة في جسد يختار له سجَّانا أسماهُ القلب.

هو شاعر "نزقٌ يربِّي ظلَّهُ عند التقاءِ النهر بالبركان" وهو المنادي والمنادىٰ، الفاعل والمفعول به،الجسد وظلهُ أو لنقل الظل باعتبارهِ أصلاً والجسد تابعـًا .

"يا ظل انكسر فوق المياه لكي ألملمكَ، انكسر لتهبَّ مثل الأقحوانةِ، وانكسر حتىٰ تذرِّيكَ الرياحُ، تهبُّ من أقصىٰ اشتهائي".

فالظلُّ حسب السعدي كائنٌ منفصلٌ لكنه الحقيقة والجسد سراب، الحقيقة المضيئةُ في ليلٍ كظلِّ الأرض أو لم يقل غوته الفيلسوف الألماني: "حيث يوجد الكثير من الظل يكون الظل عميقا"؟

هو شاعر يكتب ظلاله المنثورة في الأرض، يكتب خطاياهُ، أشكاله المتعددة في تفاصيل الظلال، يكتب أصواته الصامتة، ليله الطويل، عاطفتهُ تلك التي تخلع طيناً أثيماً، فعاطفته "سراب واضح أو ظل عنقاء ترفرف في الدماء وفي الكتابة"، هو الشاعر يقطف لنا من حدائق جنانهِ فواكه لذيذة من شجر الحلم "فيرتق القلب المخرَّم بالسفرجل والغناء"، وله "من الغيم شرفة ومن عبق التفاح موجة وزرقة"، مُدّ يديك أيها القارئ واقطف من حدائق قلبهِ المعلقة ما تشتهي من فواكه، سيصيرُ المعنىٰ لذيذا بطعم النشوة، ستنبتُ في جسدك استعارات الأشجار، والأنهار والأطيار والرماد، كُوني أيتها الفواكه دوائر متاهةٍ تجعلك لا تخرج من جنة الفكرة.

يقول ألبار بيار بيروني في ذكريات آدم: "أحسُّ أن العالم يدخل فيَّ كما الفواكه التي آكلها، نعم حقّا إنّي أتغذّىٰ من العالم."

نمر سعدي مسكون بالملح والظل وصرخات الألم في طين أثيم، إثم الغواية والممنوع، إثم الكتابة الجميل، به جراح لا تبرأ يحنطها الملح والذكريات وروح شاعر لا يستكين إلىٰ المعنىٰ الساذج، به "جرحٌ ليس يبرأ من ضجيج النثر"، به أسئلة الغيب والغياب، به قلب يطلُّ علىٰ الكون، به فوضىٰ الشاعر، به إصرار الكتابة، هو الحافر في المعنىٰ بمعاول من لام والف كالرفض للسائد، والصاعد إلىٰ الكثافة بأجنحة الخيال كالطيران في أقفاص اختارها

سجوناً له، كسجن الحبيبة، كسجن الوحدة عند الكتابة، سجون تطلُّ علىٰ حرية المعنىٰ، به لذة الألم تتقلَّىٰ في شرايين القلب ونبضه، هو الصارخ: "لن أسدَّ شبابيك قلبي ولن أبتعد"، به قلق الفصول وأرق أيلول ونوافذ نوفمبر... قصائده هي ما يطلُّ عليه من شرفات القلب، من ثقوب الطين، من أضواء الليل الخافتة، من لحظات الفرح، وسنوات الألم، به "سقسقات العصافير" و "نداء الملح" تلك أصوات تخرج من جسد يحتفي بالمجاز وأصواتِ الأسئلة، بهِ الشِعرُ "سرُّ خساراته الجميل، به ألم الآخرين ينقر قلبه حيثُ تقطن الوحيدات اللاتي "يحتجن تقليم لبلابهن الذي امتدّ في الليل خارج أسوار أجسادهن."

أيها القارئ هذه نصوصٌ تزخر بالمجاز، وتزخر بآثام الطين، آثام الخيبات والخسارات والخيانة، آثام جميلة يستعيرها الشاعر من الصلصال ومن الظلال ويحفر فيها استعارات المعنىٰ خرائطَ للجراح العميقة.

نمر سعدي في استعاراته الجسدية، كان يجعل من الجسد لغة رمزية لقد "سمَّروا قلبه علىٰ خشب الصليب" كان يحدثنا عن قلبه "المخَّرم بالسفرجل" لكنها اللغة حمالة القلب والفكر معا، لغة المجاز، فصرت أراه لغة أو رمزا أو معنىٰ، فالجسد يخرج من كونه حسيًّا إلىٰ دائرة المعنىٰ ومن التراب والصلصال إلىٰ الحياة، يقول:

"هذي الحياة قصيدة لا تنتهي"، إذن هذا الجسد يتنفَّس شعرا ولا ينتهي إلا بزوال الشعر والشعور، هو المؤمن بالقلب، بالشعر العميق، ب "الوميض، العبارة، خيط المجاز"، يؤمن بالحدس واللذة في آن معا، يحدسُ بالأشياء كنبيٍّ للشعر، مرهف رهيف "يسكنه المغني العذب"، شاعر يؤمن بالزمن والفصول كتموز "كطعم الحبِّ في أيلول" يطلُّ من نافذة نوفمبر علىٰ العالم ويهزُّهُ "أرقُ أيلول" هو الذي يصغي إلىٰ "نداء الملح"، وما يحمله الملح من رمزية الخلود والألم، يحدثنا عن اللذة والفواكه من سفرجل ورمان ونزوات نوفمبر القاسي وهو "المتعبُ من الاشتهاء"، صفوة القول انه شاعر في هذا الكتاب، شاعر الأزمنة والأمكنة والفصول، شاعر المعنىٰ والمغنىٰ شاعر اللذة والحب الصافي، إنهُ الإنسان في جمعهِ للأضداد، الجسد بحضوره المادي والجسد مجازاً ولغةً... هو المنشطرُ بين حسِّ الأهداب وبين لذة المعنىٰ التي تحملها رائحة البحر، فقط هو نمر اللغة وكم يسعد بفراشة شرسة يحلق بها المعنىٰ بعيداً، هو الذي يسمِّي جميع النساء فخاخـًا ولا يقع إلا في فخ المجاز والمزاج والحيرة، فهو المهووس بالشِعر يسأل لمن يكتب الشِعر في هذهِ الأرض، أجيبك أيها النمر.. للفراش الذي حدثتنا عنه، الفراش المحلِّق بعيداً في أقاصي الأرض، لقارئ افتراضي يعشق المعنىٰ ويغنِّي معك.

***

تلويحةُ حب للشاعر الفلسطيني نمر سعدي في الأرض البعيدة!!

علي الدميني
شاعر من السعودية

قرأت ثلاثة دواوين للشاعر و صلتني علىٰ الفيس بوك، و أريد أن أشير فقط إلىٰ قصيدة طويلة بعنوان " أنتِ حديقةٌ من الغيوم وأصابعي جمرٌ لا ينطفئُ " شغلت نصف ديوانهِ الأخير "وصايا العاشق"

في ملحمة النهر الطويلة هذه، تسيل شعرية نمر سعدي لغةً و ثقافة وإيقاعاً موسيقيا عذبا، كأطروحة مرافعة وجودية شاملة، ينهض المنادىٰ فيها، مكتنزا بحالات شديدة التوهج. و يتجلىٰ ذلك عبر صوره الشعرية الخاصة و إحالاته الترميزية، ليرسم بريشة فنان تشكيلي بارع تبديات مختلفة يتقاطع فيها الحلول الصوفي و الرغبات الحسية الجسدية، و مثالات الأحلام المجهضة و الأماني التي ما تفتأ تقوم من كبواتها، في كيان امرأة معشوقة تجمّعت في أمثولته، كجمال مطلق كل عاشقات التاريخ، اللواتي شمخن بحضورهن و اللواتي

انكسرن عن التحقق كحلم عصيّ علىٰ الانقياد إلىٰ فضاء التماس و اللذة و المعاشرة، و تتبدىٰ تشكلاته من تداخل تفاصيل الحياة الواقعية التي تمتزج بهلامية زبد المعنىٰ، و تنكسر بغصَّة اللحظة الكونية المعاشة.

تدفُّق شعري لا يكفُّ عن الجريان حتىٰ ثمالة الحالة المشتبكة بالذات المتعددة الوجود والحضور والفاعلية، ومغموسة بقسوة الوجل و الحنين و الحب و الحرمان حيث "تكسر الخمرة الحمراء جسم مرآة الزمان اللولبية " بحسب القصيدة!!

ولعلَّ في هذا النص و سواهُ من قصائد الديوان بعض لمحات مما يمكن أن نراها متداخلة _ كما في صور المرايا المتعاقبة _ مع اشتغالاته السابقة في دواوين شعرهِ و قصائدهِ المنشورة في الوسائط الاعلامية المختلفة، لكن هذا الديوان هو خلاصتها، و كرستالها المصفَّىٰ، الذي يعيرهُ الشاعر الفنان حياةً جديدة، وفق طرائق أكثر جمالية وعذوبة و مغايرة!!

وهنا جزء من ذلك النص الرائع

أنتِ حديقةٌ من الغيوم وأصابعي جمرٌ لا ينطفئُ

(1)

السنبلاتُ الخُضْرُ في صدري

ونهرُ زنابقٍ حمراءَ في يدِكِ التي تهتاجُ في البلَّورِ

يا لبراءةِ العصفورِ في جسَدي

ويا لقوايَ حينَ كدمعةٍ تنهارُ فوقَ رخامِكِ الأعمى

المعذَّبِ بالندى والطينِ..

(2)

تسندُني جهنَّمُ

ترتقي عيناياَ في الرؤيا اللعينةِ..

لا يضُرُّ مع اسمِكِ القمريّ شيءٌ قَطُّ

لكنَّ الطريقَ إلى مجرَّاتِ الحنينِ يقولُ

وجهُكِ وردةٌ في القلبِ.. مشكاةٌ مُدَمَّاةٌ

وخبزي مثلُ حلمي يابسٌ

وسماءُ هاويتي بلا بابٍ لأدخلَها

وكُلُّ الغمغماتِ خفيفةٌ

وخطاكِ ليسَ ترنُّ فوقَ الماءِ

(3)

يا للماءِ حينَ يشفُّ بحرٌ في الظهيرةِ

وهوَ يصهلُ في الدماءِ كجذوةٍ صخريَّةٍ بيضاءَ

تُشعلُ رملَ ظهري الآنَ..

يا للسنبلاتِ الخُضرِ في صدري
ونهرِ زنابقٍ حمراءَ..
(4)
ضوءُ فراشةٍ ينسابُ من قدميكِ
أو من منجمِ الذهَبِ المعتَّقِ واشتباهِ الشمسِ
هذا مهرجانُ الزنجبيلِ إذن
وعرسٌ للندى الصيفيّ..
نومُكِ ماءُ صلصالي ونومي سروةٌ وحمامتانِ صغيرتانِ
تربّيانِ بنفسجاً في ظلِّ تمثالٍ
فلا أدري بماذا كنتُ أحلمُ
كانَ قلبي في حوافِ الأرضِ بحريَّاً وليليَّاً
ويُشبهُ مرَّةً فزَّاعةً سوداءَ أو قمراً هلاميَّاً تخثَّرَ.. مرَّةً أخرى
(5)
بماذا كنتُ أحلمُ؟
آهِ لا أدري...
بغيركِ لستُ أحلمُ ربَّما
ويصيبني ضجرٌ من المدنِ الحديثةِ والبحارِ
يصيبني مطَرٌ خفيفٌ منكِ..
(6)
أيُّ فراشةٍ حجريَّةٍ حطَّت على عينيَّ

فانشقَّ النهارُ كزهرةٍ بريَّةٍ بيضاءَ
تحرسُ نومَ أنكيدو من الدمعِ المنافقِ
في مرايا نسوةٍ كسَّرنَ في دمهِ وصايا الملحِ
كُنَّ على طريقِ الغيمِ والريحِ العقيمِ معاً؟
وكنتِ دليلتي الأولى
وكانَ يدورُ حولَ ظلامهِ أو بئرهِ شمشونُ
يصرخُ صامتاً في الليلِ صرخةَ من يموتُ
تقصَّفتْ كفَّاهُ وهو يدُقُّ صخرَ البرزخِ العالي..

(7)

وقلتِ وأنتِ من وجَعِ الغناءِ
تكفكفينَ الطيرَ عن عينيَّ:
كيفَ تسيرُ في المعنى..
تهشُّ على الصدى الخاوي بغيرِ عصاكَ؟
كيفَ تكونُ بكَّاءً وأنتَ من الأثيريّينَ؟
كيفَ تكونُ مشَّاءً ولمْ تبرَحْكَ دارتُكَ
التي أقوَتْ على الأحلامِ؟
دَعْكِ الآنَ من هذا الهباءِ
فلونُ أقواسِ الغروبِ يزيدُني حزناً بلا سَبَبٍ

(8)

أفكِّرُ بالفتاةِ الأجنبيَّةِ حينَ فاهَتْ بالشهادةِ

وهيَ تسلمُ قلبَها لنصاعةٍ في الغيمِ والمنديلِ
أو في زهرَةِ الصُبَّارِ
كنتِ شبيهةً فيما أُحبُّ لها(لتلكَ الأجنبيَّةِ(
نخلةً وقرينةً لسمائها الأنثى
فيا لغتي استعيديني من الأنهارِ
أو من جُبِّ أورفيوسَ
كيْ أصفَ اختلاجي مرَّةً
أو أقصصَ الرؤيا على أحدٍ سوايَ
فلا يصدِّقُ ما جنَتهُ يدايَ من طَلْعِ الغبارِ
(9)
لمنْ إذنْ سأرتّبُ الفوضى
بذوقِ أميرةٍ شرقيَّةٍ حسناءَ
تنحتُ رفرفاتِ الطائرِ الملتاعِ من فمها
ومن غيمِ القصائدِ؟
كيفَ أرسمُ قوسَ أسرابِ السنونو
في حنايا الأرضِ لا في الأفقِ
وهيَ تعودُ من أقصى الشتاءِ إليَّ؟
(10)
كيفَ يشيلُ شمسَ المريماتِ فمي
لكيْ تحمي شفاهي عندَ بابِ الليلِ؟

كانَ الليلُ جلَّاداً بلا قلبٍ ولا آذانَ
ينبحُ أنَّ خمرتهُ التي امتزَجتْ بأنهارِ الدماءِ
تحدَّرَتْ من حكمةٍ سوداءَ صالحةٍ لأنسنةِ الضباعِ...
لمن إذنْ سأهذِّبُ الايقاعَ في المعنى
ومن سأحبُّ بعدَ تقهقرِ الطوفانِ؟
(11)
أكشفُ ما اشتهى السفَّاحُ
من جَسَدي وجسمِكِ
لا أخبِّئُ من ملاءاتِ انتحابِ الكستناءِ
عليكِ غيرَ الظلِّ
يمضغُ ما تبقَّى من صراخِ الأبرياءِ ودمعهم
في رعشةِ الأسمنتِ
لا تقوى عليكِ أصابعُ الجَمرِ
التي قُدَّتْ من الأسفلتِ...
(12)
روَّضني غيابُكِ فانسلَلتِ إليَّ من مطَرِ المراعي...
وانسحبتِ كظبيةِ النورِ الصغيرةِ من مخالبهم
تمائمُ عطرِكِ الكليِّ لوَّعتْ الذئابَ
فلا تزالُ هناكَ من آثامها تعوي
وتهوي في جحيمِكِ...

عشبةٌ في الماءِ قلبي
ليسَ تعصمها الهشاشةُ من نجومِكِ
والصدى الذاوي لصمتكِ في ورودِ الماءِ.

***

نمر سعدي:

الشاعر الذي يغمد الريشة في دمه ويكتب

فدوى العبود

كاتبة من سوريا

مجرد كتابة الشعر، في أزمنة الرواية تعتبر بطولة، فالشعر ليس في أحسن أحواله هذه الايام، فشقيقته الرواية استأثرت ببيته وشردته، كما أن وسائل الميديا، قد جعلت التصدي للبلاغة مهمة سهلة وفي ظل التحيزات الثقافية والمحاباة سنجد الكثير من المدعين، من شعراء وشاعرات يرمون في وجوهنا أشعارهن كالبصقات وكما يقول أحدهم " وحين ترتفع أصوات كثيرة فإننا لا نسمع منها إلا القليل " وعلينا ألا ننسىٰ المحسوبيات في الأوساط الثقافية، حتىٰ المعيار الدقيق للنقد وهو بحسب ماكدونالد "ملاحظة العناصر المتميزة" فقد فاعليته أو خضع مثله مثل الحس السليم للعمىٰ وبحسب رينان ماكدونالد "إن النقد الجيد يتمثل في القدرة علىٰ الحكم الجيد، وإدراك ما يسعدنا".

مع نمر سعدي أحببت الشعر، لا هدايا للعاشقات ولا توجد في جعبته هدايا للهائمات، هكذا يحدد بوصلته منذ البداية من الإهداء: إلىٰ النساء الوحيدات...

قصيدتي امرأة صامتة لا تصهل كأحصنة نزار قباني، ولا تذرع دهاليز التبغ كالسيَّاب، وقطعاً لا تحبو علىٰ الارض عاريةً كجدِّها جرير ولا تصطحبُ عشيقها في رحلةٍ نهريَّةٍ.

وبهذا لا يشكل الحب ثيمة في أعماله بقدر ما ينحو باتجاه خرائط وتضاريس وعرة. تضاريس الروح العارية إلا من وحدتها وصمتها، بل إنه لا يريد أن يبدد دمه ولحظاته في رهان الحب الخاسر علىٰ هذه الأرض السحرية حيث لا تكف الأشياء عن التبدل.

قال شاعر كهلٌ لشاعرٍ شاب : لا تكن تعيساً مثلي

ولا تحوِّل عمرك لدواوين حبٍّ طويلةٍ لامرأةٍ لا تستحق حرفاً منها

في النهاية وبعد فوات الأوان لا فرقَ بينَ نظراتِ العاشق والأبله

لكن إذا كان للحب أن يمر فليكن، لكن بدون شروط هامساً وبهياً، فالقلب سجن، والقلب ينكر، وهو ينكر رواده ونزلاءه ويقهرهم، لذلك يكتفي نمر سعدي بالهمس في أذن محبوبته.

ليس من عادتي أن أسجنها في قلبي مكسَّرِ السياجِ

والعرباتِ

تعلَّمتُ أن أضعَ فمي على وجهها هامساً لها برفق :كم أُحبُّكِ

ثمَّ افتح لها بوَّابةَ جسدي السماويَّة

والحرية التي هي مطمح كل كائن لا معنى لها بدون الحبيبة.

حريَّتي خارج حياتكِ هي أفظع سجوني على الإطلاق

والفجوة تتسع بين لغتين، لغة الروحي والمادي، الهشاشة والقسوة، والشاعر لا يعرف كيف يعبر بين الضفتين، ولا يعرف كيف يبني جسراً يصله بالعالمين فيبقىٰ وسطهما تتلعثم روحه ولغته الثالثة فهو يقول:

لا زلتُ أُخطئُ في التخاطبِ بينَ مفردتينِ، بينَ قصيدةٍ بهشاشةِ الروحيِّ أو ولهِ الفراشاتِ العطاشِ بآخرِ المعنىٰ، وبينَ صديقةٍ بصلابةِ الفولاذِ والحجرِ.

هو مثل نسائه الوحيدات، هن وحيدات لأنهن لا يرضين بالحب إلا اكتمالاً وذوباناً في الآخر، ولا بديل عن الكمال سوىٰ الوحدة فهي أرحم من حب ناقص ومبتور.

سنلتقي لو في مطالعِ أغنياتِ البدو كالغرباء، أو ننحلُّ في بعضٍ كآخرٍ ذرَّتينٍ من الهواء.

لا يمكن اختصار تجربة الشاعر الفلسطيني نمر سعدي في مقال مبتسر، هذه التجربة التي لم تكتمل أبعادها، لكن يبدو أن صاحبها قرر أن يغمد الريشة في دمه ويكتب فوق وجه الكون العاري، وقد وصفها الناقد والشاعر اللبناني المغترب الدكتور جميل الدويهي.. "وردتني في الآونة الأخيرة بضع قصائد من الشاعر نمر سعدي، وعندما قرأتها وجدت نفسي في غابة من السحر والجمال، وعوّضني ذلك عن كثير من مشاعر الإحباط التي شعرتها وأنا أقف أمام نصوص تفتقر إلىٰ مقومات القصيدة، وقد يسألني أحد: ما هي تلك المقومات؟ فأبدو وكأنَّ علىٰ رأسي الطير، كما أبدو عند سؤال أحدهم: ما سر جمال هذه المرأة؟ أو هذه الوردة؟ أو هذا البحر؟ وهل الجمال يمكن اختصاره في كلمات؟"

ربما ليكتب الشاعر عليه أن يكون بقلبين، قلب واحد يوجعنا فما بالكم باثنين، قلب ليحتمل عبء العمل والحياة وآخر يتململ ويتمرد.

في النصف الأول من آذار تدب الروح الحلوة في كل الاشياء

وينبت لي قلب آخر

الشعر ضلال والكتابة تيه، والقراءة شغف وضلال، يمكن لي كقارئة شغوفة أن أصف تجربته بكلمات الدكتور الشاعر جميل الدويهي حين وصف تجربة قراءته للشاعر نمر سعدي " لقد أمتعني الخوض في شعر نمر سعدي الذي يصف نفسه بأنه "مناضل في الحياة"، وينفي عن نفسه صفة "شاعر كبير"، لكن ليسمح لي بأن أعبّر عن رأيي بحرّية، فسعدي من شعراء قلّة وقدوة في عالمنا العربي اليوم، يحافظون علىٰ الشعر من الاندثار، ويحرصون علىٰ الأصالة من غير تفريط بضرورة الحداثة، وسعدي، الشاعر الكبير، لا يذهب إلىٰ قصيدة النثر كما يفعل كثيرون لخوفهم من التفعيلة، فهو الملاّح الذي يرتاد البحر هادئـًا كان أم هائجـًا، فيدرك أبعاده ويحمل منها غنائم وفيرة، ويعود من رحلته وقد عركه الصراع مع العاصفة، لكنه غنيّ بما ملكت يداه من كنوز الخيال وثراء الروح."

***

نقوشٌ بريشةِ الضوءِ

(قراءة في ثلاث قصائد لشاعر اللحظة الراقية نمر سعدي)

د. جميل الدويهي
شاعر وناقد وروائي لبناني
مقيم في سدني/ أُستراليا

أُقرُّ للشاعر نمر سعدي بطول باعه وتجربته الفذّة في الشعر العمودي والشعر المنثور علىٰ حد سواء. ولأنّني في الآلاف المؤلّفة من شعراء النثر، لم أعد أعرف كيف أقيس، وكي أتفاعل مع الصورة الشعرية، فإنني أترك لغيري أن يضيء علىٰ قصائد نمر سعدي من هذا النمط الذي لا يقلّ جمالاً في نظري عن الشعر الموزون، فالأخير نفسه قد يكون راقيـًا ومتفرّداً، وقد يكون هزيلاً إذا كان الشاعر لا يمتلك سرّ اللحظة المدهشة التي تسحر وتغيّر في المتلقي.

وردتْني في الآونة الأخيرة بضع قصائد من الشاعر نمر سعدي، وعندما قرأتها وجدت نفسي في غابة من السحر والجمال، وعوّضني ذلك عن كثير من مشاعر الإحباط التي شعرتها وأنا أقف أمام

نصوص تفتقر إلىٰ مقومات القصيدة. وقد يسألني أحد: ما هي تلك المقومات؟ فأبدو وكأنّ علىٰ رأسي الطير، كما أبدو عند سؤال أحدهم: ما سر جمال هذه المرأة؟ أو هذه الوردة؟ أو هذا البحر؟ وهل الجمال يمكن اختصاره في كلمات؟

نعم لا أعرف كيف أجيب، لكنني أشعر بالجمال يداهمني. يسحرني، يطوّقني ويأسرني من كل جانب، وهذا الانصياع لأمر الشعر وسطوته لا أحسّ به دائماً إلا عندما أقرأ لكبار، من أمثال محمود درويش وسميح القاسم وبدر شاكر السياب وسعيد عقل ونزار قباني وصلاح لبكي، وعندما أقرأ للامرتين وهيجو وتريستان تزارا وإدغار ألن بو...

هؤلاء الشعراء يسيطرون علىٰ حواسي برهبة الكلمة، وأعترف أمامهم بأنني سأحتاج إلىٰ كثير من الوقت والتجربة قبل أن أفعل فعلهم.

هكذا أنظر إلىٰ الشاعر الشاعر، وأعيد قراءته كلّما احتاج إلىٰ الحافز الفكري والإبداعي الذي يتملكني ويأمرني بأن أكون شاعراً أو لا أكون. وقد كنت دائماً أقول إن الشعراء القدوة صعّبوا الأمر علينا وجعلونا نفكّر كثيراً قبل أن ندفع بنص شعري إلىٰ الناس، فكيف يجرؤ بعض مَن أقرأ لهم علىٰ رشقنا بشعر لا يخيّل لا يبدّل، ولا يحرّك فينا ساكناً؟

نحن فعلاً نحتاج إلىٰ تلك القلّة التي تُنوّر حياتنا، وتقتحِم مجاهلنا، وتخرجنا من صمتنا، فننتشي معها في صلاة ترتفع وترتفع إلىٰ أبعد من النجوم.

ولست أصنّف نمر سعدي إن كان رومنسيـًا أو رمزيًـا، أو واقعيـًا، لأنّني أعتقد أن الشاعر لا ينحصر في مذهب واحد، فقد يكون رومنطيقيـًا في انفعالاته، ورمزيـًا في طريقة تعبيره عن تلك الانفعالات، وواقعيا في تصويره للحدث الشعري، فعندما يقول لامرتين مثلاً: "أنا أشبه تلك الأوراق الصفراء، فخذيني مثلها يا ريح الشمال"، يكون رومنطيقيـًا في مشاعره المتألِّمة، ورمزيـًا في تصويره للأوراق الصفراء التي هي الموت، ولرياح الشمال التي هي عربة الموتىٰ، وهو واقعي أيضـًا لأنه يتحدث عن تجربته الشخصية بصدق. يقول دو لا كروا: "ليس للفن أن ينحصر في مدرسة واحدة". ومن هذه الحقيقة التي أؤمن بها في مقاربتي للنص الشعري الجديد، فإنني أفضّل أن أخوض في قصائد نمر سعدي من باب النقد الانطباعي الذي يعتبره مارون عبود، وكثيرون غيره، أفضل النقد.

قراءة 1

في قصيدة له يقول سعدي:

"ظفرُ تلكَ التي كنتُ أحببتُها لدقائقَ معدودةٍ في مكانٍ نسيتُ...
ربَّما كانَ في حرمِ الجامعةْ

ربمَّا في القطارِ البطيء
ربمَّا في حدائقِ عينينِ صيفيَّتينِ تضيئانِ ما لا يُضيءْ
ربمَّا في الطريقِ إلى الموتِ أو صخبِ الحافلةْ
ربمَّا في مساءٍ بظلِّ المجمَّعِ أو في انتظارٍ طويلٍ طويلٍ لما لا يجيءْ
ربمَّا في ندى الوردِ أو في خطى السابلةْ
كانَ يلعنُ هذي الحياةَ بعينيهِ أو روحهِ الشاعرةْ
كانَ يهذي بغيرِ فمٍ:
ظفرُ تلكَ التي كنتُ أحببتُها لدقائقَ معدودةٍ في جهنَّمَ
حتى ولو سُميَّتْ عاهرةْ
أحنُّ وأفضلُ من كلِّ زوجاتيَ العشرِ....
عانقتهُ ثمَّ وصَّيتهُ بصغارِ الملائكِ.. ودَّعتهُ وبكيتُ.. انتهيتُ من الليلِ
ثمَّ مشيتُ.. مشيتُ.. تشقُّ الخيولُ المجنَّحةُ الماءَ فيَّ ولا تستريحُ الخيولُ
شاعرٌ هو أم.. فوضويٌّ جميلُ؟"

لوحة شعرية ولا أجمل، لو جزّءناها لفقدت كثيراً من خصائصها الجمالية، ولو نظرنا إلىٰ زاوية منها دون الأخرىٰ لفاتنا كثير من قيَمها. مزيج من الوصف، وعرض الأمكنة المحتملة للقاء، والمشاعر، والموقف الذاتي، وصولاً إلىٰ الحركة التي تجسدها

الافعال المتتالية... فالقصيدة تبدأ بوصف الأمكنة، حيث تلتهب المشاعر تجاه المرأة في مكان يمكن أن يختاره المتلقي بنفسه، ثم يمتزج العذري بالإباحي في وضع محيّر، فهل ظفر الحبيبة أم نهدها أم شيء آخر هو التحول المباشر إلىٰ جهنّم، بالمعنىٰ الديني المعروف؟... بعد ذلك تنتقل القصيدة إلىٰ فضاء الفعل: "عانقته، وصّيته، ودّعته وبكيت، مشيت، تشقّ ولا تستريح"... والخاتمة تستدعي هذه الحركة الانفعالية في مواجهة المشهد أو الموقف، لكن المتلقي الذي يتفاعل مع النص قد لا يفهم من هو هذا الشاعر؟ لعلّه نمر سعدي نفسه في انفصامه عن ذاته، في رغبته وقيوده، في "تحرّره" الجسدي وسموّ روحه... نعم إنه شاعر، فوضوي وجميل أكثر من الجمال، ورؤيوي إلىٰ أبعد من الرؤىٰ.

لا أخفي سراً إذا قلت إنّ لا حاجة لفهم القصيدة، ولا تجوز مطالبة الشاعر بأن يكون دائمـًا في حالة الكشف، فالمتلقي له دوره في النص، وهذا ما يفهمه الشاعر نمر سعدي، ويطّبقه علىٰ من يتبعون أفكاره ويجمعونها كخيط في ثوب ربيعي مزركش، وكنت أنا من أول التابعين وجامعي الخيوط، علىٰ أنني لم أستطع التقاط جميع الجزئيّات، فكما يقول أوكتافيو باث: ‘‘بين ما أراه وما أقوله، وبين ما أقوله وما أصمت عنه، وبين ما أصمت عنه وما أحلم به، وبين ما أحلم به وما أنساه، هناك يكون الشعر’’.

قراءة 2

في قصيدة "تقمّص"، يقول الشاعر نمر سعدي:

"آهِ يا ميمُ ماذا تقولينَ لي؟
أنني ربمَّا أتقمَّصُ نجماً صغيراً من القطنِ في كاحلِ الماءِ،
أو كحلِ أحلى الفراشاتِ يا ميمُ؟
أو ربَّما أتقمَّصُ حلماً من الليلكِ الرخوِ في قُزَحِ العُشبِ؟
يا ميمُ ماذا تريدينَ من عطشِ الأغنياتِ،
وفيكِ الينابيعُ تركضُ مبهورةً بالأشعَّةِ؟
هذا أنا العربيُّ الشقيُّ الذي قصمَ الوردُ صبحَ النوارسِ فيَّ
ولستُ شبيهي الرومانسيَّ،
لستُ أنا الشاعرَ الانجليزيَّ ما قبلَ قرنينِ
يا ميمُ لستُ أنا اللوردَ بايرونَ ولستُ أنا أنا
ربَّما أنا أنتِ."

تهيمن علىٰ القصيدة التساؤلات، فماذا يتقمّص الشاعر ومَن؟ هل يتقمّص نجماً صغيراً، أم حلماً من الليلك؟ وهل هو الشاعر الإنكليزيّ قبل قرنين؟ لا. هل هو اللورد بايرون؟ أيضاً لا... ولماذا اللود بايرون تحديداً؟ واللورد بايرون رمز من رموز الرومنسية وحرية الشعوب... حتىٰ يصل الشاعر إلىٰ قمّة القصيدة ليعلن أنه لا يعرف نفسه عندما يقف أمام مرآته، فليس هو هو، في المنطق

الأفلاطوني، بل هو غير ذلك، هو الحبيبة، ميم نفسها، التي تقمّصها فتداخل الحبيبان كالعطر في الليلك، وكالأشعة في الينابيع.

التقمص هنا ليس ولادة بعد الموت، بل هو حياة في حياة. حياة الشاعر في حياة حبيبته ووجودها في وجوده.

ولا أخفي أن هذ الفكرة: ‘‘التوحّد بين الحبيب والحبيبة" قد وردت كثيراً في الشعر، وفي قواميس العشّاق، لكن الجوّ العام للقصيدة يوحي بأنّ التقمّص يأخذ شكلاً روحيـًا، فلا تلميح إلىٰ جسد الحبيبة ولا إباحية أو عبث، فكأني بسعدي يقول مع المتصوف الكبير جلال الدين الرومي في قصيدة لشمس تبريز: "إذا كنتَ أنتَ أنا وكنت أنا أنت، فما هذا الانفصال بيننا؟ نحن نور الله، ومرآته، فلماذا نتعب مع أنفسنا والواحد مع الآخر؟ ولماذا يهرب ضوء من الضوء الآخر؟ "

قراءة 3

في القصيدة الآتية نقع علىٰ نوع آخر من الشعر، فالتفعيلة في القصيدة الأولىٰ لم تكن منتظمة، بينما هنا نحن أمام شعر عمودي يلتزم بعدد التفاعيل وترتيبها في بحر البسيط .

"الأقحوانةُ.. عطرُ الماءِ.. شهوتُهُ
المرأةُ.. النورسُ.. الحوريَّةُ.. الرشأُ

يبكي على يدِها من عشقهِ برَدى
وينتهي في حوافيها.. ويبتدئُ
تُعلِّمُ الشبقَ الفضيَّ في شفتي
طيورُها.. كيفَ حولَ النارِ ينطفئُ
الياسمينةُ أجلوها.. فينثرني
صوَّانُها الرخوُ.. أو يعلو دمي صدأُ؟
تسقي خطايَ فراشاتِ البحارِ ولا
تهذي بغيرِ شظايا.. ما هو الظمأُ؟
قصيدتي جرَّها الفاشيُّ حافيةً
من شعرِها.. والندى الجوريُّ يهترئُ
أكلَّما خمشَتْ عصفورةٌ عُنُقي
جاءَ ابنَ زيدونَ من ولَّادةٍ نبأُ؟
ضحكُ الدمشقيَّةِ الغيداءِ يغسلني
بلهفةِ الدمعِ حتى لستُ أنكفئُ
أروادُ فيها بعينيها تُعاتبُني
وليسَ تغفرُ لي نسيانَها سبأُ."

نقع في القصيدة على رويّ الهمزة، وهو روي لم يُستخدم كثيراً في الشعر العربي، علىٰ الرغم من جماله، ولعلّ السبب في ندرة استعماله هو قلة وجود ألفاظ تتضمن هذا الروي. لكن الشاعر نمر سعدي استفاد من تجربته الفذّة لكي يحشد تلك الألفاظ من غير أن يكون

هدفه القافية، فجاءت الهمزة محبّبة طيبة، وجاء استخدامها عفوياً طليقاً، حفراً وتنزيلاً – كما يُقال .

في القصيدة ثلاثة أمكنة، هي الشام، ودلالتها: بردىٰ، الياسمينة، الدمشقية... والأندلس، ودلالتها ابن زيدون وعشيقته ولادة بنت المستكفي... واليمن ودلالتها سبأ. ولست أعرف ما هو الرابط بين الأمكنة الثلاثة، لكنها علىٰ تباعدها الجغرافي تعكس وجوهاً لحالة واحدة، حالة الشاعر في حبّه واشتياقه وشغفه... ولو سمع المتلقي هذه القصيدة لما استطاع إدراك أبعادها بسهولة، فالعصر ليس عصر امرئ القيس أو عمر بن أبي ربيعة أو المتنبي، بل هو عصر الحداثة التي تنفتح مساحتها أمام التعبير، ولا أفق لحرية الشاعر فيها، وعن هذا يقول د. فالح الحجية في مقالة له بعنوان "القصيدة العربية بين الحداثة والمعاصرة": "إن الشعر معرفة انسانية تحمل معطيات الرؤية والاحساس النابع من القلب. وهذا الاحساس المعني هو المصدر الوحيد لمعرفة الأشياء في هذا العالم الذاتي، أي إنّ الشعر الذي ينبثق من الروح اللاعقلية واللاتصورية مضاد لكل تفسير منطقي. أي إن ما عناه الشاعر ربما يبقىٰ مبهما عند الآخرين وربما يحقق المقولة المعروفة (المعنىٰ في قلب الشاعر) .

بيد أن هناك بعض الأبيات في قصيدة الشاعر نمر سعدي التي يمكن قراءتها بسهولة:

"قصيدتي جرّها الفاشيّ حافية
من شعرها... والندى الجوريّ يهترئ"

وهكذا يتداخل الواقعي والذاتي بالرمزي والغريب في كوتيل متناسق لا يفسد للشعر قضيّة.

لقد أمتعني الخوض في شعر نمر سعدي الذي يصف نفسه بأنه "مناضل في الحياة"، وينفي عن نفسه صفة "شاعر كبير"، لكن ليسمح لي بأن أعبّر عن رأيي بحرّية، فسعدي من شعراء قلّة وقدوة في عالمنا العربي اليوم، يحافظون علىٰ الشعر من الاندثار، ويحرصون علىٰ الأصالة من غير تفريط بضرورة الحداثة. وسعدي، الشاعر الكبير، لا يذهب إلىٰ قصيدة النثر كما يفعل كثيرون لخوفهم من التفعيلة، فهو الملاّح الذي يرتاد البحر هادئًا كان أم هائجًا، فيدرك أبعاده ويحمل منها غنائم وفيرة، ويعود من رحلته وقد عركه الصراع مع العاصفة، لكنه غنيّ بما ملكت يداه من كنوز الخيال وثراء الروح.

***

نمر سعدي:

الشعراء فوضويون وقصائدهم رسائل شخصية

حنان عقيل

كاتبة وصحفيَّة من مصر

يكتب الشاعر رسالته في شعره؛ تلك الكلمات التي تحفظها القصائد تكون بمثابة عصارة لروحه ورسالته في الحياة التي عاشها، فرغم الحياة الفوضوية التي قد يعيشها الكثير من الشعراء إلا أن الإبداع الحقيقي الذي يقدمونه هو رسالتهم الحقيقية، فالشاعر يسير في خطين متوازيين؛ أحدهما التحرر من قيود التابوهات والأفكار المُسبقة لتقديم إبداع حقيقي، والآخر هو رسالته في أن يكون أداة للثورة علىٰ السائد والرتيب. "العرب" التقت الشاعر نمر سعدي في حديث عن آفاق الشعر ومحركاته ودوره.

تعد تجربة الشاعر نمر سعدي من أكثر التجارب الشعرية الفلسطينية ثراء إذ يكتب في أشكال شعرية مختلفة سواء العمودي أو التفعيلة أو غيرهما، يسعىٰ في قصيدته لأن يُصوّر البيئة العربية الجليلية، نسبة إلىٰ قريته الواقعة في ضواحي حيفا، والتي لا تخلو من

مسحة تميل إلىٰ البداوة تتقلص في شعره لصالح هموم وقضايا إنسانية، متكئا علىٰ حمولات معرفية عدة يستقي منها تناصات مستندة إلىٰ موروثات ثقافية وأخرىٰ رمزية وأسطورية، وعبْر موسيقىٰ شعره الهادئة تنساب الأفكار والرؤىٰ والأحاسيس الشفافة. صدرَ للشاعر عدد من الدواوين الشعرية منها ‘‘موسيقىٰ مرئية’’، ‘‘كأني سواي’’، ‘‘وقتٌ لأنسنةِ الذئب’’، ‘‘تشبكُ شَعرها بيمامة عطشىٰ’’، ‘‘تقاسيم علىٰ مقامِ الندم. ’’

كتب سعدي لسنوات عدة في صحف ومجلات محليَّة، وكانت انطلاقته في صحيفة الإتحاد الحيفاوية، فيما بعد نشر في صحيفتين تصدران في الناصرة هما صحيفة "كل العرب" و"الأخبار"، ليتجه بعدها للكتابة في أهم الصحف والمواقع الالكترونية العربية كالقدس العربي والنهار اللبنانية وعكاظ السعودية والخليج الاماراتية وغيرها من الصحف العربيَّة الرائدة.

يتحدث نمر سعدي عن بدايات اتجاهه صوب الكتابة الشعرية قائلا ‘‘الشعر بالنسبة إلي كان ذلك الحلم الأعزل الذي طالما ظننتُ أنه سيغيِّر شيئا جوهريا في حياتي، ولذلك لم أتردد في إشهارهِ في وجه اللحظات القاسية التي كانت تطلُّ عليّ من وراء حجاب لتمهرَ قصيدتي برماد الفجيعة. في بداياتي كنتُ واقعا تحت تأثير شعراء لم يكن الافلات من سطوتهم أمرًا يسيرًا، كامرئ القيس والمتنبي وأبو

نواس وابن الرومي والمعري، تكوّنت شبه صداقة متينة بيني وبين نصوصهم التي أراها تتعدَّىٰ حدود الزمان والمكان وتتبنَّىٰ كثيرًا من أفكار الحداثة وما بعدها، بالإضافة إلىٰ انحيازي النفسي المطلق إلىٰ شعراء عرب كانت حساسيتهم الموسيقية عالية."

ويتابع "لا أخفي أنني في البدايات تأثرت كثيرا بالشاعر المصري أحمد شوقي الذي سيطر علىٰ مزاجي الشعري زمنا ليسَ قصيرا ربما غطَّىٰ فترة مراهقتي كلها إلىٰ أن اكتشفت عوالم جديدة في تجارب شعراء الحداثة العرب كالسياب ومحمود درويش وسعدي يوسف والبياتي وغيرهم، ويحضرني هنا أن أشير أيضا إلىٰ أن محمود درويش والسياب كانا مشدودين الىٰ الشاعر المصري الكبير أحمد شوقي ويعتبرانه من أهمِّ شعراء العربية علىٰ مرِّ العصور. وذلك يرجع بنظري الىٰ اللغة الموسيقية التي كان يتقنها شوقي بمهارة فذّة."

قلق الشاعر

يرىٰ سعدي أن القلق هو المحرك الأساسي للإبداع؛ فالقلق الذي كان يلازم شاعرا مثل فيرناندو بيسوا برأيه هو الحافز الأهم لكتابة القصيدة الجديدة، موضحا "لا أتخيَّل نفسي أكتب من غير أن أكون مدفوعاً بهذا القلق الروحي، الذي كان المحرِّك الأساسي لتجارب شعرية عظيمة عربية وغربية. الطمأنينة هي ما يقتل النص أو يجعله يبهت، ومن النماذج العالية لأجمل الكتابات التي تعبِّر عن

القلق الحديث أحلام كافكا السوداوية، وكتابات الشاعر البرتغالي بيسوا خصوصا كتابه اللاطمأنينة. "

ويتابع "شغفي بالكتابة لم ينكسر. كانت الكتابة تلك الفسحة الجميلة التي أداوي بها جراحا خفيَّة ترفض أن تشفىٰ، كانت المعادل الموضوعي لمعنىٰ حياتي التي لم تكن مفروشة بالورود وبالحرير، كلما عشت أكثر كلما انفتحت قصيدتي علىٰ أبعاد قصيَّة وتفتَّحت وردة روحي علىٰ جمرة المطلق علىٰ عكس ما كنت أظن في الماضي بأنه ستخف حدة هذا الشغف أو الرغبة مع مرور الزمن، وكلَّما قرأت أيضا كلَّما امتلأتُ بقلق الصعاليك وحكمة الصوفيين، أراهن علىٰ الشعر الصافي لا يهم إن كان تفعيلة أو نثرا أو عموديا، الشعر الذي تحس وأنت تقرأه أن الفراشات تدغدغ بطنك وأن قلبك يتأهب للطيران."

وانتقالا للحديث عن شعر التفعيلة الذي يصفه ضيفنا بأنه الوريث الشرعي الوحيد للشعر العربي، يُبين سعدي "مع أنني لست ضد أي شكل من الأشكال الأدبية ولا أتعصَّب لقصيدة معيَّنة، ولكنني في فترة ما كنت أعتبر التفعيلة الوريثة الشرعية الأجدر بالاهتمام من غيرها، لأنَّ قصيدة النثر لم تستطع أن تخلق تلك الحساسية الإيقاعية التي يحتاجها الشِعر حتىٰ الآن، ولم تطرح ذلك الإشكال النقدي الذي قدَّمته التفعيلة، بعض النقاد أيضا اعتبر قصيدة

النثر وافدة علينا من الشعر الغربي، هذا رأي غير صحيح، فمنجز النفري والصوفيين يفيض بالنثر الشعري، أيضا لأن من يكتبون قصيدة النثر والذين يتمتعون بموهبة قادرة علىٰ تحويل النثر إلىٰ شعر قليلون جدا، نادرا ما نستطيع أن نميِّز بين موهبة كبيرة وأخرىٰ مازالت تتعثَّر في بداياتها. افتقار قصيدة النثر للوزن يضعها في امتحان صعب لا يجتازه إلا أصحاب القامات الشعرية العالية والمواهب الحقيقية."

وفي ما يتعلق بالقصيدة الرقمية وما حققته من انتشار يقول سعدي ‘‘أعتقد أن هناك حالة من فوضىٰ النشر، نلاحظ اختلاط الشعري باللاشعري في نصوص كثيرة. قبل حمىٰ النشر الرقمي كان هناك محررون أدبيون صارمون في الصحف، التحرير الأدبي الصارم في الماضي كان بمثابة مصفاة من المستحيل أن يجتازها نص لا يرقىٰ إلىٰ الذوق العام أو يفتقر إلىٰ مقوِّمات الكتابة الجيِّدة. ”

خيمياء الإبداع

نتطرق مع الشاعر إلىٰ الحديث عن مصادره الشعرية والمعرفية في الكتابة ليشدد علىٰ أنه قارئ بالدرجة الأولىٰ، به شغف حقيقي للأدب الجميل الذي تشكِّل علاقته به شبه خيمياء حيوية. يتابع ‘‘هناك كتب لم أستطع إكمالها وتركتها في المنتصف، ولكن بالمقابل قرأت كتبا وودت لو أنها لم تنته لروعتها وقيمتها الجمالية، لم

يسحرني كاتب أو شاعر عربي أو أجنبي ولم أقرأ له كتابا واحدا علىٰ الأقل. شُغفت بمنجز الشعر العربي القديم إضافة إلىٰ شعر الحداثة بكل ما يحمله من فتوحات وتخييلات ورؤىٰ وأحببت أدب أميركا اللاتينية خصوصا بورخيس وماركيز ويوسا. "

هموم وقضايا إنسانية

أما في ما يتعلق بنوعية القارئ الذي يكتب له يوضح سعدي أن هناك من القراء من اعتبره شاعر حريَّة وهناك من اعتبره شاعر حب إنساني، وفي الأخير هو لا يضع نفسه ضمن توصيفات معيَّنة أو بين قوسين، فهو في النهاية يكتب لنفسه، صحيح أن زمن الشاعر الفرد انتهىٰ، فالشاعر أصبح صوتا من مجموعة أصوات لا نهائية تشكل الكورس الجماعي للحالة الإبداعية الإنسانية، ولكن الاهتمام النقدي بتجربة معيَّنة كثيرا ما يتأتىٰ بعد اكتمال هذه التجربة أو رحيل صاحبها.

ويستطرد "تجربة بدر شاكر السياب الشاعر العراقي العظيم لم تكتسب أهميتها إلا بعد رحيل بدر بسنوات، وأعتقد أن أهم الدراسات التي سلَّطت الضوء العربي عليه كانت دراسة الناقد الفلسطيني الكبير إحسان عباس والمنشورة في 1969 بينما عاش بدر شاعرا شبه مجهول عربيا وتحت وطأة المرض والفقر، وهناك

إحصائيات تشير إلىٰ أن الدراسات التي أُنجزت حول أدبه عربيا وعالميا قد تتجاوز الألف دراسة."

وفي ما يتعلق بالزمن في تجربته الشعرية يقول سعدي ‘‘تجربتي هي حصيلة ما عشته، أي أنني أستند علىٰ سماء منخفضة من الذكريات وأعيش حالة نوستالجيا عميقة بيني وبين الزمن’’. ومن ناحية أخرىٰ يُبيّن سعدي أن لكل شاعر رسالة شخصية تحملها قصيدته؛ فهناك شعراء عاشوا حياتهم بصورة فوضوية ولكن التاريخ حفظ لهم منجزهم الإبداعي وأيضا شعراء عاشوا في ظلال حكومات طاغية في الماضي ولكنهم قدَّموا إبداعًا عصيا علىٰ المحو، كما يقول، إذ يرىٰ أنه علىٰ الشاعر أن يؤمن برسالة ما ولكن في الوقت ذاته عليه أن يكتب نفسه بحريَّة تامة وبانفلات واضح من قيود التابوهات والمسلّمات والأفكار المسبقة.

ويوضح "تشارلز بوكوفسكي كان شاعرا بوهيميا وسكِّيرا من وجهة نظر اجتماعية ولكنه قدَّم أدبا صادقا وحقيقيا، يعبِّر عنه هو نفسه ولا يعبِّر عن أي شخص آخر، كانت قصيدته لصيقة به، أيضا عزرا باوند الشاعر الأميركي الكبير لم تخل بعض مواقفه من التطرف، فبالرغم من مواقفه التي كانت كثيرا ما تقف مع الدكتاتوريات ضد الشعوب المقموعة إلا أنه احتفظ بهالته كأحد أهم الأصوات التي شكلت ظاهرة الشعر الأميركي الجديد. لكن رأيي أن

الشاعر عليه أن يكون مع الضحية الذي يرزح تحت سوط الطاغية، ما دام يؤمن بالحرية وبالخير المطلق. فالشعر أداة تغيير قبل كل شيء، وأداة انقلاب وبوق للثورة علىٰ السائد الرتيب."

***

الشاعر الفلسطيني نمر سعدي:
الكتابة غواية محفوفة بالمكر

انديرا مطر
كاتبة وصحفيَّة من لبنان

يعدُّ الشاعر نمر سعدي واحداً من الأصوات الجديدة في الساحة الشعرية الفلسطينية.. صدرَت له الدواوين الشعرية التالية: عذابات وضَّاح آخر (2005)، الناصرة، موسيقىٰ مرئية (2008) الناصرة، كأني سواي (2009)، حيفا، يوتوبيا أنثىٰ (2010)، رام الله، ماء معذَّب (2011)، الناصرة، وقتٌ لأنسنةِ الذئب (2014) القاهرة، تشبكُ شَعرها بيمامةٍ عطشىٰ، القاهرة، وصايا العاشق (2014) القاهرة.

القصيدة المشتهاة

تنصتُ أشعارُ سعدي لهموم التجربة الحياتية وتزخمُ بالموسيقىٰ الهادئة. يتميز شعره بقدرة علىٰ التعبير اللغوي، والتصوير الفني علىٰ حد سواء، متكئًا، في هذا وذاك، علىٰ خيال جامح منفتح علىٰ

الاتجاهات كافة. موضوعات شعره إنسانية ووجودية وعاطفية لكن قصيدته المشتهاة هي تلك التي تمزج هموم ذاتية وإنسانية وجمالية وفلسفية حتىٰ قصيدة الحب التي يكتبها قد تعبِّر عن عاطفة إنسانية أو مشكلة فلسفية في إطار جمالي معرفي ملبسة بلبوس الشغف الجسدي، "أعتقد كل شعر أكتبه يدور في فلك الشغف الجسدي كما تدور شمس في سماء حزيران الزرقاء. أوائل قصائدي كلها مرتبطة بشكل أو بآخر بأواخر الشغف الجسدي الذي أعنيه."

قصيدة التفعيلة والسيَّاب

كتب سعدي قصيدة التفعلية ولم يتعصب لها، الىٰ جانب العمودية وقصيدة النثر "بما أنني أعتبر نفسي كائن موسيقي أو بالأحرىٰ إيقاعي لم أستطع التخلص من تحرش الأوزان والبحور الشعرية بناي في القلب.. وبذلك أراني مشدوداً إلىٰ قصيدة التفعيلة أكثر من غيرها.. طبعا من غير انتقاص للقصيدة العمودية المكتوبة بروح جديدة وقلق حديث أو للقصيدة النثرية المكونة من جزئيات صغيرة متناهية الصغر والمفتوحة علىٰ احتمالات اليومي والعابر ودقائق الأشياء."

قصيدة التفعلية تستحضر تلقائيًا معلمه الأول وأحد الآباء الشعريين العظام بدر شاكر السياب، "لا أظن أن شاعرا عربيا أثار الجدل خلال أكثر من نصف قرن كما فعل هذا الشاعر الفذ."

درويش والاعجاز

ماذا عن مواطنه الشاعر محمود درويش الذي قلما نجا شاعر فلسطيني من تأثيره؟ يعتبر نمر سعدي أن درويش علىٰ مستوىٰ التفعيلة قدَّم معجزاً فذَّاً شكَّل سقفـًا عاليةً للتجارب اللاحقة وكان صاحب طاقة شعرية هائلة واستثنائية. "طوَّر قصيدة التفعيلة وبثَّ فيها مياه جديدة وطاقة نورانية فيها طعم القلق الفلسفي الوجودي. ذلك لأنه يرتكز بقوة علىٰ التراث الموسيقي العربي ويدرك أخفىٰ دقائق علم العروض والبحور الشعرية، أيضـًا لأنهُ منفتحٌ علىٰ الشعريَّات العالمية المتنوعة والمختلفة. قصيدته أقرب إلىٰ النفس من قصائد غيره لأنها تمتلك ثقافة واسعة وبُعداً مجازيـًا خاصـًا وشحنةً عظيمةً من السلاسة والانسيابية والنبرة الجرسية وكأنها مارش عسكري، قصيدةُ درويش تحاورُ النفس وتسائلها بعمقٍ ثرٍّ وشغفٍ حقيقي."

أدونيس وازدحام الأفكار

المتعة التي يقرأ بها نمر سعدي درويش أو شوقي بزيع أو سعدي يوسف يقرأ بها أيضاً شاعراً إشكالياً ومختلفاً كأدونيس ولكن بذائقة أكثر حذراً "أجد أدونيس أحيانا يثقل القصيدة بالأفكار الذهنية وأحيانا أخرى بلغة فلسفية صعبة وبصور بعيدة عن الجمالية التي ينشدها المتلقي ويبحث عنها في لغة الشعر. ولكنهُ في بضعة دواوين

لهُ كتبها في المرحلة الأخيرة يحلِّقُ عالياً مثل ديوانيهِ (أوَّلُ الجسد آخرُ البحر) و(تاريخ يتمزَّق في جسدِ امرأة)، وظيفةُ الشاعر أن يحوِّل لغة ومنطق الحديد والنحاس إلى ذهب كما يقول السياب في أحد حواراته وأن يخلقَ الشعري من اللا شعري ويبثَّ الروحَ في الجماد."

البداية مع الشعر الجاهلي

مجموعة من الشعراء العرب والأجانب تركوا بصماتهم في مسارهِ الشعري. وشكل الشعر اللبناني خصوصا الجنوبي منه رافدا جماليا. في الرابعة عشر من عمره قرأ نمر سعدي الشعر الجاهلي الذي يعتبره أغنىٰ ما أنجز العرب في مجال الشعر. فيما بعد تعرف علىٰ تجارب الشعراء العباسيين وأحب أبا نواس والبحتري وأبا تمام وبشار بن برد. لكنه تماهىٰ حتىٰ الثمالة مع أشعار أبي الطيب المتنبي. "من الصعب الإلمام بتأثير الشعراء العرب القدامىٰ عليَّ. ربما لم أقرأ كل الذين ذكرتهم قراءة شاملة ولكن تأثرت بعدد قصائد لا بأس به لهم."

لسعدي نظرته الخاصة في ما يتعلق بالشعر المترجم، لاسيما الترجمات التي تتم عن لغة وسيطة ولا تنقل النص الأصلي بأمانة،كأن يترجم شاعر لوركا عن الفرنسية فيبتعد عن النار الكامنة في النص الأصلي ويأتي النص ركيكا وفي أحيان كثيرة لا يؤدي الفكرة بأمانة." لم تترك الكتب الكثيرة التي قرأها، شعراً عربيًا وأجنبيًا ودراسات ومسرح ونقد ورواية وغيرها، إلا ضبابًا أبيضَ في ذهنه،

يشبهُ حفيفَ القطن الغيمي بغضِّ النظر عن استفادتهِ منها أو نفورهِ المطلق من عوالمها."

صعوبة الكتابة

الانسيابية الشعرية ليست متاحة للشعراء علىٰ الدوام والكتابة تبلغ أحيانـًا ألم المخاض. يقول سعدي انها ممارسة صعبة، بل صعبة جداً، وغواية محفوفة بالمكر لم تخلِّصه ولو للحظة واحدة من فداحة شعوره بتفاهة ما يكتب. القراءة والكتابة ليستا سوىٰ وسيلة لتزجية هذه الحياةِ بحلوها ومرِّها. "منذ صيف 2008 وأنا أكتب بصعوبة بالغةٍ أحيانـًا وهذا ما لمسته خلال كتابتي مجموعتي الشعرية (كأني سواي).أقصد أنني أعجز عن لمس البرقِ الأخضَر الطالع من سديم الضباب الأبيض. أشعرُ دائمـًا أنَّ كلّ قصيدة أتهيَّأُ لكتابتها هي الأولىٰ لي".

لعلَّ هذا النص أبلغ تعبير عن حالة الصمت المدوي التي يعيشها: "عندما لا أجدُ ما أقولهُ أغلقُ فمي علىٰ زهرةِ صَوَّانٍ كبيرةٍ.. بيدَ أني لستُ جلجامشَ، أو أمارسُ طقوسَ المشيِ في الهواءِ الصلبِ كالفلاسفةِ المشَّائينَ وأنا أصبُّ ماءَ قلبي علىٰ جمر الثرثرةِ المهتاجِ بفرحٍ، أعيشُ قليلاً في حضرةِ إغراءِ الصمتِ.. ليسَ صمتَ رمبو، أكملَّ أحلامَ غالب هلسا غير المدوَّنةِ أو أحيل بقايا قصيدة إلىٰ شاعرٍ

صُعلوكٍ غيري يحملُ مأساتهُ علىٰ كتفيهِ ويذرعُ شوارعَ مدنٍ علىٰ كواكبَ أخرىٰ"..

الفيسبوك الفاضح

علاقة الشاعر نمر سعدي بالفيسبوك علاقة ملتبسة. يكتب ويحذف ويشعر أحيانا انه اقترف ذنبا كتابيا ما. ربما لأن القصيدة تتسع للمداراة والمراوغة بخلاف النثر الفيسبوكي وليد اللحظة الممسوس بشغف الطفرة الوجدانية "كم من بوستات حذفتها بعدما استنزفت جهداً كبيراً في كتابتها لأنني وجدتها من صنف النثر الفاضح الذي لا يفصله خيط رفيع عن أعماق نفسي. أحيانا كثيرة أكتب هذيانات وأنشرها وكأنه لن يرىٰ ما أكتب سواي. وانا أعرف جيدا أنني نشرتها توًّا علىٰ الملأ."

***

تأملات في قصيدة

"حيفا تشبكُ شَعرها بيمامةٍ عطشى"

مصطفى ضيَّة

شاعر وناقد من القيروان – تونس

حيفا تشبكُ شَعرها بيمامةٍ عطشى
منذُ متى وأنتَ تصُبُّ رغوةَ بحرِها وشذى نداها في دمائكَ
تقتفي ما يتركُ اللبلابُ في شرفاتها من شهوةٍ عجلى
تُؤثِّثُ ليلَها بشفاهِ ليليتَ التي لم تأتِ إلَّا عندما
فخَّختَ عطرَ قصيدةٍ بالموجِ؟
منذُ متى وأنتَ تقيسُ أبعادَ التأمُّلِ في روايةِ حُبِّها الأزليّ؟
كيفَ يشيخُ قلبُكَ في طفولتها
وتلمَعُ في أنوثتها شظايا مائكَ الكحليّ؟
لوزُ البحرِ مرميٌّ على يدِها
ودمعُ طيورها البيضاءِ يلمعُ في خطاكَ
فهل تُرى تهذي بموسيقاكَ في جَسدٍ
وهل كالأقحوانةِ في الصدَى تهوي؟

تَرى حيفا من الأصدافِ تخرجُ مثلَ أفروديتَ
تُشعلُ ماءَ بسمتِها
وتُسندُ قلبَها المثقوبَ بالنعناعِ والدامي
على نجمٍ من الصَوَّانِ
تشبكُ شعرَها بيمامةٍ عطشى
وتنتظرُ البرابرةَ المسائيّينَ...
منذُ متى وأنتَ تحبُّها وتصُبُّ رغوةَ جِسمِها
أو نارَ شهوتِها المطيرةِ في دمِكْ؟

المقدّمة:

للمدينة في الشعر العربي الحديث حضور مكثّف حدّدته ظروف موضوعيّة وذاتية. تقرأ أشعار نزار قبّاني ومحمود درويش مثلا فتستهويك صورة دمشق السّاحرة وبيروت المحاصرة. أمّا القدس – نظرا إلىٰ وضعها الاستثنائي – فهي مدينة السماوات، أي موطن الدّيانات الثلاث وأكثر قصائدها مغنّاة، أشهرها قصيدتا مظفّر النواب وتميم البرغوثي. وللمكان وظيفتان: فيه تتحقّق ملامح الذات – علىٰ حدّ تعبير أدونيس– ومنه تأتي مفاجآت السّقوط.. في هذا الإطار تتنزّل قصيدة الشاعر الفلسطيني نمر السعدي والتي تحمل هذا العنوان الآسر "حيفا تشبك شعرها بيمامة عطشىٰ."

بنية القصيدة

تضمّ هذه القصيدة 19 سطرا موزّعين كالتالي: ثمانية أسئلة إنكاريّة، مختزلة وفق مبدأ الاقتصاد في اللغة في ستّة أسئلة صريحة وثمانية أجوبة ضمنيّة، لتكون العلاقة المنطقيّة بين المدخل والنهاية علاقة سببيّة، علاقة السبب بالنتيجة. ولولا الضرورة المنهجيّة لاعتبرنا الأجوبة بدورها أسئلة إنكاريّة.

الجزء الأوّل: السؤال علىٰ السؤال جواب!

تنفتح القصيدة بالسّطر التّالي : "منذ متىٰ و أنت تصبّ رغوة بحرها و شذىٰ نداها في دمك..." وتنغلق بالسّطر التّالي : "منذ متىٰ و أنت تحبّها و تصبّ رغوة جسمها أو نار شهوتها المطيرة في دمك؟" لتختزل القصيدة في هذين السّطرين. السّؤال الأوّل إنكاري و يعادل نحويّا جملة تقريريّة كأن نستبدل صيغة السّؤال"منذ متىٰ" ب"منذ البدء، منذ الأزل" لذلك حذفت نقطة الاستفهام عمدا. أمّا السّؤال الثّاني و إن بدا في الشّكل حقيقيّا فهو في الأصل إنكاري و نقطة الاستفهام في آخر السّطر مراوغة للقارئ: سؤالان إنكاريان في سؤال واحد يصبّ ضمنيّا في سؤال حقيقي: "حتّام و أنت تصبّ رغوة بحرها وشذىٰ نداها في دمك." حتّام و أنت تحبّها وتصبّ رغوة جسمها أو نار شهوتها المطيرة في دمك". إذا كان ظرف الزّمان غير معلوم شكلا في القصيدة وواضحا ضمنيّا_و الشّعر مبنيّ علىٰ

الغموض و اللّعب بالكلمات_ فانّ ظرف المكان جليّ: دم الشّاعر وعاء حاضن لفعل"صبّ" مكرّر وفعل "أحبّ". إن الزّمان والمكان توأمان لا ينفصلان.. لذلك تستدعي نظريّة المعرفة الحديثة في الفيزياء و الفلسفة مفهوم "الزّمكان " للدّلالة علىٰ التّرابط المتين بينهما في فهم الظّواهر الطّبيعيّة و اللّغويّة. أمّا فعلي "صبّ" و "أحب" فمشتقّان من الحبّ و الصّب أي من جنس واحد في الأصل.فالصّب أو الصّبابة هي أعلىٰ درجات الحبّ. ألم يكتب الحصري القيرواني :" يا ليل الصّب متىٰ غده" [1]. لذلك يمكن أن يقرأ السّطر الأوّل و الثّاني علىٰ النّحو التّالي: منذ متىٰ و أنت تصبّ حبّها في رغوة بحرها و شذىٰ جسمها و نداها في دمك "

الاسئلة الإنكارية،في النص، مختصرة في ستة أسئلة صريحة، مبنية علىٰ أفعال دالة علىٰ الحركة "تصب ، تقتفي ، تؤثث، فخخت ، تقيس ، يشيخ ، تلمع ، تهذي ، تهوي ، تحبّها ، تصّب ."

الجليّ أنّ فعل "تصّب" يفتح القصيدة ويغلقها وهو الفعل الوحيد المكرّر، يضاف اليه "تحبّها". يصّب "ليحبّ" عندئذ تصبح العلاقة المنطقية بين مدخل القصيدة و نهايتها علاقة سببية، علاقة السبب بالنتيجة.

يصّب الشاعر ثم يصطفىٰ من بحرها رغوته.. زبده ،عصارة مدّه و جزره ليضيفه الىٰ مضاف ومضاف اليه " شذىٰ نداها " والكلُّ

يُسكب في دمائه ليضيء لها اللّيمون – علىٰ حد تعبير الشاعر الكبير محمود درويش – "ملح دمه"[2]. لم يكفها ذلك، هاهو الشاعر يقتفي ما يخلّف اللبلاب في شرفاتها ، في أعاليها ،من شهوة عابرة. ونوع اللبلاب هو ذلك الجامع لثلاثة ألوان :الأزرق اللاّزوردي الطاغي و الذي يحيل علىٰ زرقة السماء، والأبيض الدّال علىٰ الزبد و الملح و الثلج [3].أمّا اللّون الأصفر، لون الليمون، ليمون يافا، فله وظيفة جمالية أَلاَ وهي الترصيع، وله كذلك فعل السحر ، سحر القبّة ، قبة المسجد الأقصىٰ الصامدة علىٰ مرّ الأزمان والمتعالية علىٰ التدنيس ، تدنيس البرابرة المستوطنين. الشهوة في تمثلها مرتبطة بالحواس لكنها تظل مجرَّدة ولا مرئية. في القصيدة، يشخّصها الشاعر و يرتدّ بها من منزلة اللاّمرئي –لا إلىٰ المرئي – وإنما لمنزلة وسطىٰ يسمّيها سارج فنتوريني (serges venturini)؛[4] بالعابرة للمرئي، le trans-visible شهوة كما يقول أدونيس[5] تتقدم لتملأ الفراغ ، فراغ ليلها بشفاه ليليت التي إستدعت نفسها عندما نصب لها الشاعر كمينا لمَّا فخّخ عطر قصيدته بالموج ، بزبده. هذه الصورة الطريفة تذكرنا بطريقة صيد فريدة لدىٰ بعض الحيوانات مثل la panthère noire "، أنثىٰ الفهد الأسود" التي تختفي وترسل عطرا – طُعما يستهوي الحيوانات الصغيرة، وعندما تقترب منها تفترسها دون عناء. هناك صورة أخرىٰ في الميثيولوجيا الإغريقية ، صورة عرائس البحر اللاتي يفتنّ البحّارة، بأصواتهن الشجية، ليلقين فيما

بعد بمن لا يعطّل حاسة سمعه إراديا – كما فعل ulysse- في الهاوية. أيّ وحدة قياسية في السؤال الرابع تمكّن الشاّعر من تحديد أبعاد التامّل في رواية حبّها الازلي ؟. إن التأمل في أصله ينتمي الىٰ دفتري الفلسفة والرياضيات وهو التفكير المطوّل في مسألة ما، كتأملات ديكارت Descartes و باسكالPascal ، لذلك نتساءل : هل الحبّ حالة وجدانية نعيشها أم نتأمّل فيها؟ وهل يجوز الحبّ والتأمّل في آن؟. مفارقة لا يقوىٰ عليها إلاّ الشاعر، في قصيدة كالتي نحن بصدد تفكيكها وقد لا نقوىٰ عليها ! مرة أخرىٰ نرجئ الجواب و نسأل : هل يقوىٰ الدّنيوي علىٰ السرمدي؟ وحده الشاعر يعرف كيف يستوطن غيهب حبّها ، وحده المختصّ دون سواه ، وحده الكنعاني المفرد في صيغة الجمع – حتّىٰ لا يكون حبّه لحيفا حصريّا ووطنيته ملكيّة خاصّة تقصي من يشاركه الزمان والمكان والتاريخ- يدرك ذلك.

في الشعر يجوز للمبدع ما لا يجوز لغيرهِ، تفرده في الأسلوب أي في كيفية النّسج .

في السؤال الخامس يتساءل الشاعر:

"كيف يشيخ قلبك في طفولتها ؟" كأني به يردّد علىٰ لسان جميل بثينة " كيف كبرت ولم تكبري " [6] او كما قال محمود درويش:

"في اليوم أكبر عاما في هوى وطني

فعانقوني عناق الريح للنار[7]"

في السطر الثاني من النص، عندما يتشظّىٰ الماءُ وهو المرآة ، عندها في لحظة الصّفاء يلمعُ ماءه الكُحليّ في أنوثتها ، والماءُ في التحليل النفسيّ له دلالة شبقية[8] تُحيل علىٰ مفهوم الشهوة العجلىٰ.هناك ترابط محكمُ النّسج بين الكلمة والأخرىٰ، بين السّطر والسّطر، وبين المدخل ونهاية القصيدة.

في السؤالين السادس والسابع يصل الشّاعر في حالته الشعريّة إلىٰ حدّ التخمّر و الهذيان بالموسيقىٰ ، في فضاء محدّد هو الجسد ثم يهوي في الصّدىٰ كالأقحوانة : مَا القاسمُ المشتركُ بين المشبّه والمشبّه به غير أنهما يزهران ثم يذبُلان عندما يشحُّ الماءُ و تشتدّ الحرارة.

خلاصة الجزء الاول :

ماذا تبقّىٰ من القصيدة بعد هذا الإعصار من الأسئلة الحاضنة لأجوبتها والتي تعبّر عن توتّر الشّاعر، عن قلقه، عن تمزّقه و انشطاره، و هذا ما يشي به المونولوج الدّاخلي. أسئلة مفخّخة تترجم بعمق الحالة النّفسية للشاعر التي تبلغ حدّ الرّصانة – الفاجعة، ثمّ الانهيار المدوّي. ليس بين الأسئلة مسافة، لذلك تكثّفت الصّور و تفجّر المعنىٰ المصاحب والحافّ، وضاق المبنىٰ بهذا الدّم الثّائر في

الشّرايين والجارف للقصيدة التي تشرّع عليه في السّطر الاوّل : "....
وشذىٰ نداها في دمائك"

وتغلق علىٰ هديره في السطر الأخير : "أو نار شهوتها المطيرة في دمك."

الجزء الثاني : الجواب علىٰ الجواب سؤال!

ما تبقىٰ من القصيدة نتيجة حتمية لسبب لخّصته الأسئلة المترابطة :

"لوز البحر مرميّ على يدها
ودمع طيورها البيضاء يلمع في خطاك
ترى حيفا من الاصداف تخرج مثل أفروديت
تشعل ماء بسمتها
وتسند قلبها المثقوب بالنعناع والدّامي
على نجم من الصّوان
تشبك شعرها بيمامة عطشى
وتنتظر البرابرة المسائيين."...
هذا المقطع يوجز في سطرين ويقرأ كالتالي:
"لوز البحر مرميّ على يدها
تشبك شعرها بيمامة عطشى
وتنتظر البرابرة المسائيين"....

بعد المدّ والجزر، يرمي لها البحر زبده، لوزه، لتعلّقه، ان شاءت، حليّا في معصميها، لكنها لم تحفل به لأنها في مأتم، لم تأخذ من البحر سوىٰ نوارسه، طيوره الدامعة علىٰ أسرها، كأني بها تبكي، كما شجا من قبلها عنترة العبسي:يا طائر البان قد هيجت أشجاني....."[9]. لم تكن حيفا وحدها تتفجّع ، هاهو الشاعر يلتقط صفو ما يذرف الطير ليلمعَ في خطاه : نزفت عيناه لنرىٰ: "عينا للبكاء تعارُ"[10]، علىٰ حد تعبير الشّاعر عباس بن الاحنف.

نحن أمام امرأة ثكلىٰ وشاعر مترمل، يرقّ البحر لحالهما، مرّة أخرىٰ في مدّه أخذ حيفا، أغرقها، غاصت في أعماقه، طهّرها ثمّ عادت تتمشّىٰ مزهوّة بفتنتها، تعالت عن جنسها، هي ليست مدينة كبقية المدن، هي لؤلؤة، عروس – وهذا ما يشي به فعل "خرج" – هي ربّة الجمال، لا فرق بينها وبين أفروديت أو فينوس،(11) والتشبيه في السطر الثالث لا يفي بالحالة: ليت الشاعر استعمل المجاز ليجوز لنا الحديث عن التماهي بين المشبه والمشبه به !

واحتفاءً بإعادة الخلق، ها هي تشعل ماء بسمتها، "تعضّ على العنّاب بالبرد" (12) لتنير ظلمة المتعبين والمسرفين في حبّها. وفي غفلة تستعيد ماضيها وحاضرها: هي حيفا دون سواها، حيفا الجريحة تسند قلبها المثقوب بالنّعناع، تفخّخ دمها بالعطر، تكوي ما تمزّق من أعضائها بضياء نجم من الصّوان علّها تضمّد ولو بالوهم جراحها. فاجأها المساء، لم تجد الوقت كي تسرّح شعرها، تُشبكه، على

عجل، بيمامة عطشى حطَّت على كتفيها، عندما ضاق بها المكان ولم تجد أين تعشّش ! ها هي تنتظر بمعنى تتنبأ بما سيفعل بها البرابرة المسائيون مجدّدا، فعلهم المتوحش أصبح عادة: يجتثون زيتونها ويخرّبون ما بنى عشاقها على مرأى ومسمع ممن يدّعي حبّها !

خاتمة:

قصيدة معقّدة التركيب تمتع وتربك أدوات النقد التقليدية. قصيدة سؤال إنكاري علىٰ سؤال إنكاري أي جواب علىٰ جواب، وذلك يضارع، في النهاية: حيفا السؤال ومعضلة الوجود تنشد حلا جذريا عبر الأزمنة المترامية ! هي قصيدة، قماش من الحرير نُسِجَ بعناية فائقة ليكون علىٰ مقاس حيفا، يتسع لبحرها، لرمالها حبّة حبّة، لسمائها طيرا ونجما، لجنوبها وشمالها، لشرقها وغربها، للأحياء والموتىٰ من أبنائها، للمرئي، للاّمرئي والعابر للمرئي في تاريخها: نصّ مبني علىٰ ثمانية أسئلة حارقة تشتغل كسبب رئيسي ّ لثمانية أجوبة متوهّجة، نتيجة حتمية لها:(8/ 8). قماش مشرّع علىٰ كلّ الجهات، علىٰ يافا، علىٰ القدس، علىٰ كلّ شبر من الوطن المحتلّ، يطلّ منه الشاعر – علىٰ حدّ تعبير درويش – كشرفة بيت علىٰ ما يريد(12). أمّا لعبة الضمائر في النّص فمراوغة لشكل الخطاب عند جاكبسون، لعلم اللّسانيات ولفهم القارئ كذلك: لا فرق بين الباثّ والمتقبّل، بين "أنتَ" أي "أنَا" و"أنتِ" أي حيفا. "الأنا" تصبح "أنتَ" و"أنتَ" ترىٰ حيفا من الأصداف تخرج كما أراها "أنا".

بمعنىٰ لا فرق بين الذّاتي والموضوعيّ، أليست الموضوعيّة تُبنىٰ علىٰ الذّاتية، والموضوعيّة هي الذّاتية الأكثر كلّية. تتغيّر زوايا النّظر، لكنّ المشهد واحد: حيفا هي حيفا كما أسرت وكما هي الأن. حيفا، رياضيّا، هي جزء من كلّ هو فلسطين، وأنا وأنتَ ونحن منصهرين – علىٰ سبيل الإختصاص – في جزء يصبّ في وطن مغتصب من غرباء هُمُ "هُمْ". قصيدة متوازنة التوزيع (8/ 8) منسجمة البداية والنّهاية علىٰ وزن مُتَفَاْعِلُنْ. علىٰ البحر الكامل، تصوّر وترسم بموسيقىٰ غنائيّة نشازا واختلالا في الواقع ! كأني بالشّاعر يقول: إذا استحال تطبيق العدل فنحن نطالب بتوزيع عادل للظلم!

الهوامش

-1الحصري علي عبد الغني: الدّيوان، طبعة صادر بيروت، ج 1، ص53.

-2درويش محمود: الأعمال الشعريّة الكاملة، بيروت، طبعة أولى جوان 2005 .

أمرّ باسمك إذ أحلو إلى نفسي

كما يمرّ دمشقيّ بأندلس

هنا أضاء لك الليمون ملح دمي

وههنا وقعت ريح على الفرس

-3عقيل محسن: معجم الأعشاب المصوّرة، بيروت مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، مادة لبلاب، ص 492.

4- Serge Venturini "Eclats d'une poétique du devenir" E.D.L Harmattan.journal du trans-visible

5علي أحمد سعيد: شهوة تتقدّم في خراط المادّة، الدار البيضاء، توبقال للنشر، ط 1، 1988.

6-جميل بثينة: الدّيوان: شعر الحبّ العذري، جمع وتحقيق حسن نصّار، مصر، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة 1967.وتتمّة البيت

قريبان مربعنا واحد*** فكيف كبرت ولم تكبري

7- درويش محمود: الأعمال الشعريّة الكاملة، بيروت، طبعة أولى جوان 2005.

أقول للناس للأحباب نحن هنا

أسرى محبّتكم في الموكب الساري

في اليوم أكبر عاما في هوى وطني

فعانقوني عناق الريح للنار

8- بنكراد سعيد: ذاكرة الماء ولا وعي السرد، مجلّة علامات عدد29.

9- ابن شدّاد عنترة: الديوان، بيروت دار الكتاب العربي، ط 1،1995، ص 143.

يا طائر البان قد هيّجت أشجاني ***وزدتني طربا يا طائر البان

10- ابن الأحنف عبّاس: الدّيوان، مطبعة دار الكتاب المصريّة 1954، ص 127 .

من ذا يعيرك عينك تبك بها *** أرأيت عينا للبكاء تعار

11- حاتم عماد: أساطير اليونان، الدار العربيّة للكتاب 1988، ص 97.

12-الدّمشقي الوأواء :

وأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت *** وردا وعضّت على العنّاب بالبرد

-13درويش محمود: الأعمال الشعريّة الكاملة، بيروت، طبعة أولى جوان 2005.

أري شَبَحي قادماً من بعيد...

أُطِلُّ، كَشُرْفة بَيْتٍ، على ما أُريدْ

أُطِلُّ على أَصدقائي وهم يحملون بريدَ

المساء: نبيذاً وخبزاً,

وبعض الرواياتِ والأسطوانَاتْ.

تأمُّل في وقتِ الأنسنةِ الذئبيَّة

(قراءة في ديوان "وقتٌ لأنسنةِ الذئبِ")

محمد الاحسايني

كاتب روائي وصحفي من المغرب

نمر سعدي ذات شعرية تنزع إلىٰ الحريَّة.. الحُبِّ والجمال الكوني

ديوان (وقت لأنسنة الذئب) يحمل انزياحات تحيل إلىٰ العالم الواقعي مأخوذة من طبيعة الحياة التي عاشها الشاعر.

نشر نمر سعدي قصائد وصفها بأنها قد كتبت مابين2011 و2013 وبنشرها يكون نمر سعدي الشاعر الفلسطيني قد فجر هذه الأضمومة الشعرية لتعلن عن نفسها بقوة،والانجاز الشعري هذا يأبىٰ صاحبه إلا أن يهديه للهباء هذه الكلمة الشعرية ذات المعاني المتعددة والتي لابد أن ترتبط بفوضىٰ الوجود وبالكاوس، وقد تعني لاشيء. في هذه الأضمومة نجد إحساسات وجودية للشاعر، واستباقات استشرافية عبر" عصور الشعر العربي حديثه وقديمه ."

نمر سعدي شاعر فلسطيني. يقيم في قريته بسمة طبعون الواقعة شرق مدينة حيفا، وهي قرية جليلية معروفة بجمال موقعها، ومناظرها الطبيعية الخلابة، وتأثيرها الساحر علىٰ نفس الشاعر القلقة، لكنها مرهفة الإحساس والرؤية، والنازعة أبدًا إلىٰ الحرية والجمال الكوني، مما يبقي نوافذه مفتوحة علىٰ العالم القريب والبعيد في آن. ليطل، من خلالها وباستمرار علىٰ مجالات الحياة، وفضاءات الكون كافة، لاسيما علىٰ كل ما هو إبداعي وعصري وحداثي. وعن سؤاله في موقع "القدس" هل أثّرت الطبيعة المحيطة بك في أشعارك؟ أجاب "بالطبع كان التأثير كبيرًا. فلنتأمل قصائد نمر سعدي بتأنٍ.

قصيدة "أزهار من سدوم" مكثفة بالصور الشعرية: صور متعددة متزاحمة، لكنها محاولة لتصنع من الوقائع الدينية والتاريخية رؤىً حسية، عميقة؛ فبالرغم من هلاك سدوم يمضي الشاعر في التقاط رؤاه بين اليقظة والمنام نحو ابتداع صور شعرية.

أقتاتُ من شَغَفي عشباً يُضيءُ خطى
جلجامشِ السرّ في أدغالِ ذاكرتي
أقتاتُ من لهَفي حُبّاً ينازعني
إلى السماءِ كنجمٍ فوقَ خاصرتي
وأنحني مثلَ جون كيتسِ المريضِ على

ماءٍ يضيءُ ثرى منقارِ قُبَّرتي
رميتُ خضرةَ بحرِ السندبادِ إلى
حرائقِ التيهِ في روحي وصاريتي
أنحَلُّ مثلَ رذاذِ الشمسِ من قَلَقٍ
كيما أُعلِّقَ فوقَ الريحِ أغنيتي
إني تأبَّطتُ سيفَ الشعرِ تحتَ دمي
وعلَّقتني على ناري مُعلَّقَتي
كُلُّ الذينَ ذووا في الكشفِ أو صُلبوا
كانوا استمدُّوا الرؤى من وحيِ صعلَكتي
لن أرتضي قمَراً في الجسمِ يصهرُني
حتى تصيرَ لأنكيدو قرنفلتي
لن أرتضي قدَراً..قُضبانُهُ ذهبٌ
حتى تصيرَ إلى فاوستَ معرفتي

نمر سعدي عندما يتحدث عن سيرة الكتابة، يؤكد أن نصف موهبته يرجع إلىٰ الجمال الطبيعي الذي يتصف به شمال فلسطين، بجباله وسهوله وتضاريسه المكونة لجزء من طبيعة بلاد الشام، يتميّز بغناه وصفاء هوائه وروعته. كل أشعاره تستند إلىٰ هذا الإرث الجمالي الطبيعي الهائل، الذي ورثته النفس وتمتعت به وتغنت بحسنه.

في قصيدة "عباد الشمس" تتجه لغته المنتفضة من البحيرة بجرس غنائي.. بالرغم من كثافتها كشعر به تكسير زمني ينم عن معمارية خاصة في اتجاهه مروراً بديك الجن والمتأثرين به طبعًا، وبلوركا.

عباد الشمس قصيدة مكتوبة علىٰ البحر البسيط بنفس عاشق ورؤيا حداثوية يحاول فيها الشاعر أن يشرح بعض همومه العاطفية.. لغته تتجه نحو التكامل الموسيقي اللفظي وهو حريص جدا في الكتابة الشعرية علىٰ خلق هذا التوافق الموسيقي في النص.

يحضر ديك الجن ولوركا وغيرهم بقصائدهم العابرة للزمن فكأنما نمر سعدي يريد أن يضع علىٰ وجه الشاعر الذي يسكنه أقنعة لشعراء كثيرين بتمثل تجاربهم لأنهم حسب اعتقاده يتماهون معه تتصادىٰ تجاربهم في الحياة مع تجربته الشعرية..وهذا ليس استحضاراً باهتـًا لهم، بل يريد لقصيدته أن تعانق أشعارهم من خلال هذا المزج الجميل.

كأنَّ وردةَ أعضائي غدَتْ كِسفاً
على الثرى وكأنَّ الطلَّ بي لَهَبُ
تحفُّني الشعلةُ الخضراءُ.. تأكلني
أحلى الطيورِ ونارُ الشعرِ والكُتُبُ
ويطلعُ الشاعرُ المدفونُ من جسَدي

أو أسفلِ البئرِ تهمي حولَهُ السُحُبُ
يُقبّلُ الأرضَ بالعينينِ.. يُنطقها
بدمعةِ الصمتِ..حيثُ الشِعرُ يحتجبُ
ويحتوي من دخانِ الروحِ مُخمَلَ من
شدَّتْ على طيفها الأضلاعُ والهُدُبُ
تُآلفينَ دمي الليليَّ فيكِ وذا
عبَّادُ شمسكِ في عينيَّ يغتربُ

هناك نبرة تنمُّ عن الظلم في الحياة التي يتعايش معها نمر سعدي، توقفاته إلىٰ مناطق محمية لتهريب المشاعر، وفي استشراف واستباق في قصيدة –شاعر يشبه الشنفرىٰ– عن الاستعارات التي تجسد عالمه الشعري. هذا الاستخدام للتراث ذو حمولة تكشف عن الواقع، هل تكون الصعلكة تجسيدا للكفاح الوطني، ولو بشكل بروليتاري؟ أيضاً تتزاحم الصور الشعرية في قصيدة" وقت لأنسنة الذئب" :حيث هناك تشكيل زمني طاغ، وتشكيل مكاني ينتهي إلىٰ الصورة: مرحلة التوافق بين ما يخالج نفس المتكلم– الشاعر، وبين حركة الأشياء ؟ ولماذا بالضبط عرس حزيران؟ وما هذا الذئب الشرس في دم المتكلم– الشاعر. ودائما من يتكلم ومن يسرد علىٰ حد تعبير جيرار جينيت؟

في ديوان "وقتٌ لأنسنة الذئب" هناك انزياحات تحيل الىٰ العالم الواقعي ربما هي مأخوذة من طبيعة الحياة التي عاشها الشاعر والتي لم تكن حريرية بالمعنىٰ العميق، هنا شعر يميل بمجملهِ الىٰ معالجة القضايا الإنسانية بصورة رمزية ومجازية.. عرس حزيران ربما يرمز الىٰ احتفاء ما، بهذا الشهر الذي يحمل في أنفاسه رائحة العشق لأنه في نظر الشاعر بوابة الصيف الذهبية الجميلة. الذئب يرمز في الأدبيات القديمة والمعاصرة إلىٰ حالة الجوع الأبدي، أو عشق ما، لا ينتهي ولا ينفذ.

شاعرٌ يُشبهُ الشنفرى
يتلَمَّسُ وردَ عذاباتهِ في تجاويفِ دورتهِ الدمويَّةِ
تسكنُ أنهارهُ في مكانٍ قصيّ الاشارةِ
في منتهى جسدي المتمزّقِ مثلَ البيارقِ في ساحةِ المعركةْ
تجمعُ الريحُ أعضاءَهُ وتفرّقها في أعالي الكلامِ
رؤىً بضَّةً / جوقةً من سنابلَ فضيَّة الصيفِ
شمساً شتائيَّةً تستحمّينَ فيها
بكاملِ مرجانِ روحكِ من عقدةِ الخوفِ واليأسِ
بحراً يتيمَ القصيدةِ يقصدُهُ العاطلونَ عن الحُبِّ والصعلَكةْ
مساءً أخيراً لشمسٍ سدومَ / ندىً ناعساً
قزَحاً غامضاً تستريحينَ فيهِ من الانكسارِ

على سورِ قلبي الوحيدِ الشريدِ
تذوبينَ فيهِ كقطعةِ غيمٍ
كبسمةِ ليلكةٍ للصباحِ تعُبُّ النجومَ التي نُعفَتْ في وريدي
هنالكَ معنى حنينٍ يضيءُ الظلامَ القليلَ
يُفسِّرُ أفراحَ حزني الخفيِّ
هنالكَ في القلبِ أزهارُ حورٍ
وأشجارُ نورٍ يُعرِّشُ صفصافها في غنائي.

***

الفلسطيني نمر سعدي في "وقتٌ لأنسَنةِ الذئب"

قصائد تحمل روح الخسارة وتهدي نفسها "إلى الهباء"

عمر شبانة

شاعر فلسطيني من الأردن

يُهدي الشاعر الفلسطيني نمر سعدي ديوانه «وقتٌ لأنسَنةِ الذئب»، إهداء عجيبا «إلىٰ الهَباء»، لأن غالبية قصائد هذا الديوان، تحمل روح الخسارة علىٰ غير صعيد، وخصوصا علىٰ صعيد العلاقة بالمرأة، هذه المرأة التي تحضر هنا في صوَر متعددة ومختلفة حد التناقض، لكنها في نهاية المطاف صور تُظهر الشاعر منذورا لامرأة تجعل منه «ذئبا»، فيما هو منذور للهباء.

المجموعة الجديدة، الصادرة حديثا في (دار النسيم، القاهرة)، هي الخامسة في مسيرة الشاعر ابن الجليل الفلسطيني المحتل، والذي يعيش قريبا من الناصرة وعكا وحيفا ويافا والقدس، من دون أن تحضر حضورا مباشرا في قصائده، فقد سبق وصدر له «موسيقىٰ مرئية» (الناصرة، 2008)، و«كأني سواي» (حيفا، 2009)، و«يوتوبيا أنثىٰ» (رام الله، 2010)، و«ماء معذَّب» (الناصرة،

2011). المجموعة موزعة علىٰ أقسام، يحتوي كل منها علىٰ عدد من القصائد، يغلب عليها البعد العاطفي وروح المأساة لجهة المضمون، والمراوحة بين التفعيلة الواحدة والبيت الخليلي لجهة الأوزان والإيقاعات، وكثرة استخدام القوافي الداخلية علىٰ نحو يجعل من النص نصّا دائريا، قبل الوصول إلىٰ قافية خاتمة، ومحاولة التجريب لجهة مصادر الإلهام والاستعارة.

في القصيدة الأولىٰ، نقرأ بهذه اللغة الشفيفة تداعيات الشاعر «تمنَّيتُ لو كنتُ ظلّاً لشمسكِ/ تمنَّيتُ لو كنتُ ظنّاً جميلاً لحدسكِ/ ولا لن أُسمِّيكِ يا امرأتي/ أيتها المرأةُ المتردِّدةُ الكاذبةْ/ آهِ أيتها الأنجمُ الذهبيَّةُ في القلبِ/ أيتها اللغةُ المشتهاةُ أو المنتقاةُ من القبلةِ الغائبةْ.«

ومن أبرز استعارات الشاعر، ما نجده في قصيدة «سآوي إلىٰ نخلها»، التي تحيل إلىٰ قصة طوفان نوح وابنه الذي أعلن أنه سيأوي إلىٰ جبل يعصمه من الماء، فيقول الشاعر في استعارته لمضمون الإيواء «سآوي إلىٰ ظلِّها/ يومَ لا ظلَّ يعصمني من سماءِ العصافيرِ»، لكنه سرعان ما يتحول إلىٰ قصص أخرىٰ، ليستحضر «عطرِ زليخةَ»، و«مشيةَ الظبيِ.. والفرسِ العربيَّةِ»، منتهيا إلىٰ استعارة عنوان رواية هيرمان هيسّة «ذئب البوادي» ليتحدث عن المرأة «هيَ شفَّافةُ الروحِ بحريَّةٌ/ ووحشيَّةٌ مثلُ ذئبِ القفارْ». ومن بين القصائد المكتوبة علىٰ

إيقاعات الخليل قصيدة «أزهارٌ من سدومْ»، وهي تستعير حكاية القرية التي «خسفها الله بسبب ما كان يقترفه أهلها من مفاسد»، ضمن مجموعة قرىٰ في منطقة البحر الميّت، وفق ما جاء في نصوص الكتب المقدسة.

ولكن الشاعر يستحضر إلىٰ قصيدته هذه والكثير من قصائده، في السياق نفسه وسياقات أخرىٰ، رموزاً تاريخية وأسطورية مثل «جلجامشِ السرِّ في أدغالِ ذاكرتي»، و«جون كيتسِ المريضِ»، ويقول «إني تأبَّطتُ سيفَ الشعرِ تحتَ دمي»، والمعلّقات «وعلَّقتني علىٰ ناري مُعلَّقَتي/ حتىٰ تصيرَ إلىٰ العنقاءِ فلسفتي»، وغيرها الكثير.

وعلىٰ قلّة الحضور للبعد الوطني/ السياسي في المجموعة، فإن هذا الحضور يتراجع ليتقدم البعد الإنسانيّ والوجودي في القصائد، كما يحضر نزوع الشاعر للتعبير عما يريده.

***

"موسيقى مرئية" نموذجًا:
تجليَّات الحداثة عند الشاعر الفلسطيني نمر سعدي

د. محمد خليل

ناقد وكاتب من فلسطين

1

إضاءة: نمر سعدي شاعر وكاتب فلسطيني من مواليد أكتوبر عام 1977. يقيم في قريته بسمة طبعون الواقعة شرق مدينة حيفا، وهي قرية جليلية معروفة بجمال موقعها، ومناظرها الطبيعية الخلابة، وتأثيرها الساحر علىٰ نفس الشاعر القلقة، لكنها مرهفة الإحساس والرؤية، والنازعة أبدًا إلىٰ الحرية والجمال الكوني، مما يبقي نوافذه مفتوحة علىٰ العالم القريب والبعيد في آن. ليطل، من خلالها وباستمرار علىٰ مجالات الحياة، وفضاءات الكون كافة، لاسيما علىٰ كل ما هو إبداعي وعصري وحداثي. وعن سؤاله في موقع "القدس" هل أثّرت الطبيعة المحيطة بك في أشعارك؟ أجاب "بالطبع كان التأثير كبيرًا. هناك نزوع طبيعي لديّ واستعداد نفسي لاستيعاب كل ذرات الجمال الخارجي للطبيعة، أو تقاسم التناسق

الجمالي لهذه البقعة الطيّبة، التي تمتد علىٰ جسد الجليل كله حتىٰ بحر حيفا غربًا. قلت: إن نصف موهبتي يرجع إلىٰ الجمال الطبيعي الذي يتصف به شمال فلسطين، بجباله وسهوله وتضاريسه المكونة لجزء من طبيعة بلاد الشام، يتميّز بغناه وصفاء هوائه وروعته. يمتد حتىٰ أعالي لبنان مارًا بشرقي سوريا. في النهاية، كل أشعاري تستند علىٰ هذا الإرث الجمالي الطبيعي الهائل، الذي ورثته النفس وتمتعت به وتغنت بحسنه"[1].

بدأت جذوة الشعر تتوهج في قلبه في مرحلة مبكرة، ولم تخبُ إلىٰ اليوم، بعدما أذكتها عواصف الأحلام والحب والرؤىٰ. بدأ بنشر بواكير أشعاره، بعد اختمار التجربة ونضوجها، جنبًا إلىٰ جنب الموهبة والثقافة، في صحيفة "الاتحاد" الحيفاوية، وكذلك في صحيفتي "كل العرب" و"الأخبار" الناصريتين منذ عام 1999. يتميز شعر سعدي بقدرة علىٰ التعبير اللغوي، والتصوير الفني علىٰ حد سواء، متكئًا، في هذا وذاك، علىٰ خيال جامح منفتح علىٰ الاتجاهات كافة. يمتح من تناصات ذات حمولات متعددة: موروثات ثقافية، وإشارات إيحائية، وأخرىٰ رمزية وأسطورية، منها الخاصة: عربية وشرقية، ومنها العامة: أجنبية وغربية، تحيل إلىٰ دلالات متعددة، قد تنأىٰ عن كل ما هو نمطي أو متعارف عليه، أي

وفق المنظور الحداثي. ولا يعدم القارئ في ثنايا شعره: فكرًا وذوقًا وإحساسًا ومعرفة ورؤيا .

من أهم المحاور في أشعاره: مكاشفة الوجود واكتناه أسراره، وإثارة التساؤلات بغية فهم المتناقضات المحيطة، وصولا إلىٰ سبر أغوار الذات الشاعرة والذات الإنسانية، بوصفها وعيًا وموضوعًا معًا، إلىٰ درجة تبلغ حد التماهي أحيانًا. يقول أدونيس "لعل خير ما نعرّف به الشعر الجديد هو أنه رؤيا. والرؤيا، بطبيعتها، قفزة خارج المفهومات السائدة. هي إذًا، تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها. هكذا يبدو الشعر الجديد، أول ما يبدو، تمردًا علىٰ الأشكال والطرق الشعرية القديمة"[2]. ويقول كذلك "إن الشعر الجديد، باعتباره كشفًا ورؤيا، غامض، متردد، لا منطقي"[3]! والبعد العالمي محور أساسي في أشعاره، يقول في مقابلة له مع موقع "رابطة أدباء الشام" "أنا أعبِّر عمّا يحدث في كل بقعة موبوءة بالظلم في العالم بصورة مغايرة وجماعية أكثر"[4]! وتعد تلك العناصر من أهم مقومات الشعر الحداثي.

يعد الشاعر نمر سعدي واحدًا من أصحاب الأصوات الجديدة في الساحة الشعرية المحلية، لما يمتاز شعره به من: طاقة إبداعية، وغزارة في النتاج، ومخزون ثرّ من الموضوعات المتعددة. وهو يكتب القصيدة في الشعر التفعيلي الحر، ومن حين لآخر، أيضًا

القصيدة العمودية. كما أنه ناشط في الحراك الأدبي، ومتابع لنشاطات الحركة الأدبية المحلية .

وعن شعره يقول هو نفسه في مقابلة له مع موقع "رابطة أدباء الشام" "في النهاية آمنت بمدرسة الشعر الحر ورأيت في شعر التفعيلة أفقًا جديدًا، رغم كتابتي لشعر النثر والقصيدة العمودية أنا من أتباع التفعيلة التي أعتبرها الوريثة الشرعية الوحيدة للشعر العربي"[5] هنالك من يعتقد بأن الشاعر نمر سعدي لم ينل، كما يجب، ما يستحقه كشاعر

عصامي مبدع، أثبت نفسه بنفسه في مشهد أدبنا المحلي والثقافي، ولم يحظ بالقدر الكافي من الاهتمام، ولا من الدراسة أو الكتابة والبحث، كسائر أقرانه من الشعراء، لذلك بقي يواجه أو يعاني من التعتيم والتهميش الإعلامي. وبعيدًا عن الأضواء والشهرة، علىٰ الرغم من أن نتاجه الأدبي والشعري، في منظور ما، يثبت بأنه يمكن لا بل قد يستحق أن يتبوأ مكانه في درجة متقدمة بين صفوف الشعراء المحليين. تُرىٰ، هل تجنَّىٰ بعض شعرائنا المشهورين، باستحواذهم علىٰ كامل أضواء الشهرة والنجومية، طبعًا من دون أي قصد أو مسؤولية من جانبهم؟ وكذلك بعض نقادنا، ربما عن قصد أو بدون قصد، في ما يحدث من تجاهل وتهميش لبعض شعرائنا الواعدين؟ هل نتوقف عند شعرائنا المشهورين فقط ولا نبرحهم؟ إلىٰ متىٰ

سيبقىٰ ذلك الغبن، ونظل نتذكر ونردد صرخة عنترة بن شداد في معلقته: هل غادر الشعراء من متردم؟

وللمرء أن يتلمس صدىٰ واضحًا لمثل ذلك الواقع من خلال ما عبّر عنه الشاعر نفسه، ذات مرة، من تذمر من مثل ذلك التجاهل، حين قال في لقاء خاص مع موقع "القدس" "في الداخل هناك أزمة حقيقية لشاعر موهوب، فهو إن لم تتبنَّهُ المؤسسة الثقافية إن وجدت أصلاً، فإنه في النهاية لن يستطيع أن يفعل شيئًا. لن تصدر دواوينه ولن يترجم إلىٰ أي لغة ولن يلتفت إليه أحد... في كل دقيقة يطبعون لمن هبَّ ودبَّ، وعندما أستفسرُ عن كتابي يقولون: لا توجد ميزانية"[6]! له عدة إصدارات شعرية منها:

موسيقىٰ مرئية 2008، وكأني سواي 2009، ويوتوبيا أنثىٰ 2010، وماء معذب 2011.

2

يقول جبران خليل جبران في رائعته "رمل وزبد": لا يكسر الشرائع البشرية إلا اثنان: المجنون والعبقري، وهما أقرب الناس إلىٰ قلب الله[7]!

تنتمي أشعار سعدي في معظمها إلىٰ الحداثة، وتأثره بها وبشعرائها، من عرب وغربيين، يبدو واضحًا، كذلك، نراه متأثرًا، في بعض أشعاره، بالمؤثرات الغربية، والتفاعل الثقافي مع الآخر (الأجنبي). من هؤلاء الذين تأثر بهم يمكن أن نذكر: الشاعر والناقد الأمريكي ت. س. إليوت وقصيدته المشهورة "الأرض اليباب"، ومن الشعراء العرب: محمود درويش، وسميح القاسم، والسياب، وأدونيس، والبياتي، ومحمد الماغوط، ونازك الملائكة وآخرين .

تلامس أشعار سعدي هموم التجربة الحياتية من منظور ذاتي وتزخر بالموسيقىٰ الهادئة. إلىٰ ذلك، فيها دلالات متحركة غير ثابتة، بعيدًا عن الدلالات التقليدية المتعارف عليها. يقول أدونيس "هكذا يؤمن الشاعر العربي الجديد أن علىٰ اللغة أن تساير تجربته بكل ما فيها من التناقض والغنىٰ والتوتر. وهو في ذلك يفرغ الكلمة من شحنتها الموروثة التقليدية، ويملؤها بشحنة جديدة، تخرجها من إطارها العادي ودلالتها الشائعة" [8]، ما يعني بأن الشعر الجديد لا يعد امتدادًا للموروث الشعري القديم.

والشعر عند سعدي طائر محلق جناحاه إبداع دائم وخيال قوي، قد يصل بهما إلىٰ الأعالي، إلىٰ أقاصي الآفاق، حيث ربة الشعر، لتعانق روحه تجليات الكشف والإبداع والتطور والتمرد والنهوض معًا، بعيدًا عن كل ما هو نمطي وتقليدي أو ثابت لا يتحرك. الأمر

الذي يستوقفك ليجعلك تتأمل وتفكر، فالفكر عنده يحب معانقة الأفكار، علىٰ طريقة السيوف تحب معانقة السيوف!

*أما الإجراء اللغوي في أشعاره فحداثي بامتياز، فهو متعدد الأوجه، ومتنوع الأغراض الشعرية، وشمولي التجربة، في نص مفتوح تتلاقىٰ أو تتقاطع فيه الأصوات المتعددة، يقف الإنسان فيه محورًا أو قطبًا. فالشعر الجديد كشف للواقع بكل أعماقه وأبعاده، يلامس حياتنا بمختلف تجلياتها، شكلا ومضمونًا، ولعل أجمل ما يستثيرك، لديه، تلك التساؤلات الزاخرة، التي قد تصعب الإجابة عليها، لوقوعها تحت طائلة غموض يصل حد الإبهام أحيانًا، ما يكلّف البحث والتنقيب، علمًا أن الغموض يمكن أن يزيد في تكثيف الدلالات الشعرية. وقد أقر بعض نقاد العرب القدامىٰ بأن "أفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه"[9]! فالغموض، يمكن أن يعد قيمة أساسية في الشعر الجديد. يقول أدونيس "فالشعر الجديد تجربة شاملة معقدة، جديدة. وهو، ككل تجربة، يحتاج في فهمه إلىٰ الإيجابية وإلىٰ التعاطف"[10]. من ذلك المنطلق، لم يتردد أدونيس بالقول "علىٰ القارئ الجديد أن يتوقف عن طرح السؤال القديم: ما معنىٰ هذه القصيدة، وما هو موضوعها؟ لكي يسأل السؤال الجديد: ماذا تطرح عليّ هذه القصيدة من الأسئلة، ماذا تفتح أمامي من آفاق؟"[11]. وفي الحق ليس من

الضروري أن ندرك، معنىٰ القصيدة أو كل نص آخر، إدراكًا تامًا حتىٰ نتمتع به! هل يدرك جميعنا معنىٰ الموسيقىٰ وفحواها حين نتمتع بها؟!

يغلب علىٰ شعر سعدي الانزياح مع ما فيه من حمولات الإثارة والإدهاش والمفاجأة، كما يكثر لديه الخروج عن المألوف وغرابة التسميات. إلا أن أكثر ما يأخذ القارئ إليه مجازية اللغة أو إلىٰ انزياح جمالي في صور فنية معبرة، ودلالات مبتدعة، لتبلغ درجة الإدهاش والإثارة. ومما قاله الجاحظ في ذلك السياق "لأن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع"[12]! وذكر ابن رشيق ما يشبه ذلك علىٰ لسان أحدهم "قال: وأنشد رجل قومًا شعرًا فاستغربوه، فقال: والله ما هو بغريب، ولكنكم في الأدب غرباء"[13]! إذ كلما كانت الصورة أغرب كانت أعجب، وبالتالي كانت أعلق في النفس وأملك! الأمر الذي يمكن أن يحقق، كما يفترض، متعة القراءة ولذتها المتوخاة بعد جهد التأمل وإعمال الفكر في التفسير والتحليل والتأويل، وصولا إلىٰ القيمة المضافة المشتهاة، جمالية كانت أم معرفية. وأفضل طرق التعبير في الشعر وحتىٰ في النثر ما جاء عن طريق التصوير. يقول في قصيدته الموسومة بـ "فضاء سريالي علىٰ حافة القلب ص65:"

"وروما تمدّد زنبقتين من النار
فوق الرمال... وعاشقها ينتظر
لعينيكِ وقع الندى فوق صوتي
أنا من تقلّب أمس على الحنطة النرجسية
يقبس جمر الشبق
أنا من أضاع السماء على وجهه
حين مرت فراشةُ أيامه فاحترق!"

كذلك، يمكن أن نسوق، علىٰ سبيل المثال لا الحصر، قصيدته الموسومة بـ "موسيقىٰ مرئية"، وهو عنوان الكتاب ذاته. يعد العنوان العتبة الأولىٰ التي تستقبل القارئ قبل أن يدلف من خلالها إلىٰ ثنايا الكتاب. فالموسيقىٰ، كما يبدو تُرىٰ، وذلك حين يجسد شاعرنا الموسيقىٰ في صورة تُرىٰ لا أن تُسمع فحسب، وقد تُحمل الرؤية، في ذلك السياق، علىٰ البصر أو البصيرة أو كليهما معًا! فالموسيقىٰ، كما هو معروف، تُسمع لا تُرىٰ، لكن حين نذكر ونتذكر بأن الموسيقىٰ تتكلم أجمل اللغات، إذ إنها لغة العالم قاطبة، يقول بيتهوفن في الموسيقىٰ: إنها تعلو حكمة الحكيم وفلسفة الفيلسوف! يضاف إلىٰ ذلك، إذا علمنا بأن الموسيقىٰ لا تصدر إلا عن مصدر، فأمكن معه أن تتطابق الموسيقىٰ مع الموسيقي؛ مع مصدرها أو مبدعها، وتصبح هي هو وهو هي! كأن يقال مثلاً: فلان هو الموسيقىٰ عينها، أو

الموسيقىٰ هي فلان، وفلان هو الموسيقىٰ! كذلك يمكن القول: حضر العلم، أو رأينا الشجاعة وهكذا. وبذلك يكون الشاعر قد كسر ما هو نمطي أو متعارف عليه في الصورة القديمة. ومعروف أن الحداثة تكسر الصورة القديمة أو تفككها في أقل تقدير، ما يعني زعزعة الذاكرة وإعادة تنظيم مركباتها من جديد، الأمر الذي يتطلب مواجهتها وإعادة قراءتها مرة أخرىٰ وفق منظور جديد. في السياق ذاته، يمكن أن نذكر الشاعر العباسي المشهور بشار بن برد وتغزله، حين استعاض عن عينه بأذنه، للضرورة، وللضرورة أحكام، في التعبير عن عشقه وهواه. من هنا، نستطيع أن نتفهم أدونيس وهو يعترف بأن جذور الحداثة العربية قديمة، منذ العصر العباسي، كما عند بشار وأبي نواس وأبي تمام وآخرين[14].

ولا يفوتنا، كذلك، أن نشير إلىٰ الإهداء الذي تتجلىٰ فيه لمسة حداثية أخرىٰ كعلامة بارزة، إذ يقول فيه (إليها، إليَّ، إلينا، إلىٰ ما تمرد فينا علينا)! فقد يلحظ المرء علىٰ الشاعر ما يتحلىٰ به من حركية إبداعية، وما يعتلج في داخله من رفض وتمرد. في المقابل، سوف ينعكس ذلك، بكل تأكيد، علىٰ القارئ والإنسان بشكل عام، في ما يشبه انتقال العدوىٰ! فالشاعر، كما يبدو، يريد أن يحفِّز القارئ والإنسان كافة، علىٰ التمرد ليس علىٰ ما حوله فحسب، إنما علىٰ ما في داخله أيضًا. إنه يدعو الإنسان إلىٰ التمرد علىٰ نفسه، أن يتمرد

علىٰ واقع مزر يعيش فيه، لا أن يركن إلىٰ الاستكانة، لا ولا الركود أو الجمود أبدًا! بكلمات أخرىٰ، أن يكتشف أو يبتكر شيئًا ما علىٰ سبيل المثال، ثم لا يلبث أن يتقدم ويتمرد علىٰ ما أنجزه وأنتجه بنفسه، ويثور علىٰ ما صنعته يداه، في سعيه الحثيث دائمًا نحو الأفضل والأجمل، في حركة هي بنت لحظتها لكنها متواصلة ومستمرة. فعالم الإنسان يظل أبدًا بحاجة إلىٰ الكشف والتمرد والإبداع .

ويعبِّر الشاعر، بمنظور حداثي، عن الفكرة ذاتها، تقريبًا، في قصيدة أخرىٰ عنوانها "الحياة كما أنا أفهمها ص5" التي تحمل في بعض ثناياها لمسة صوفية. يقول :

"الحياة كما أنا أفهمها
لهفة لسماء ملونة بالنداءات
روح الينابيع تحملني مثل عطر الندى
زهوة للحصان المجنح في
احتراق الأباريق في قبة الليل
.....
والحلول النهائي للعشق في جسد الصبح
وهو يزف البياض النبيل لقلب البلاد
.....

الحياة كما أنا أفهمها
لا كما أنت تفهمها فتفسرها بالجماد."!

3

تركِّز الكتابة الحداثية، وتلك سمة أساسية يمكن أن نلمسها لدىٰ الشاعر، علىٰ الذات: الأنا والآخر، أو تداخل الذات بشقيها: الذات الشاعرة والذات الإنسانية، في محاولاته المستمرة للولوج إلىٰ أعماقها لا إلىٰ سطحها فحسب، وذلك بغية فهم كنهها وكشف طبقاتها وسبر أغوارها، فهي ذات أشكال متعددة وألوان متحولة، نذكر منها: حالات التصدع والتشظي والبعثرة. وديوانه "موسيقىٰ مرئية" حافل بمثل تلك الثنائيات والتناقض والتنافر والغموض، مما يعكس حالات الإنسان العصري وهمومه وأفكاره الذاتية والكونية. فتصدع ذات الإنسان مظهر حداثي بامتياز، ومثاله قوله في المقطع رقم 2 من قصيدته "موسيقىٰ مرئية ص15:"

"من ألف دهر ضائع القسمات مثلك أو يزيد
ودمي يصفّق في ربيع مرّ أو صيف بعيد
ربيته بفحيح عطرك وانحلالكِ في مساء الرُّوح
يا جسد الورودْ
ربيته بغيابكِ المملوء بالأحلام

عاريةً وحافيةً تنام على اشتعال الماء بالنارنج والدفلى
كأن دمي وليدْ
ربيته بغد يرفرف فيَّ مثل الحلم
أو بيدٍ من الشفق المجنح في فراشات النشيد"

ويقول متسائلا، بعد أن يتجاهل الكره والعداء المبطن في صراع الحضارات، في مقطع آخر من قصيدة "أغنية إلىٰ طروادة ص23" توقًا إلىٰ الحنين، وشوقًا إلىٰ التماسك والالتئام، في سبيل المعرفة ولأجل الحياة والبقاء ...

"آه يا آخري
أنا أعرف أنك تكرهني دونما سبب مقنع
لصراع الحضارات، لكنني سأجامل
حتى النهاية من أجل معنى الحنين
لأعرف ماهيَّتي... من أنا؟؟ ما أكون؟؟."

وللحرية عنده مكانة خاصة، إنها سؤال مركزي في شعره كما يقول، لأنها أس الحياة وأساسها بالنسبة له، لا محيد أو تنازل عنها، فهي تجري في عروقه كما الدم يجرىٰ. يقول في مقطع آخر من القصيدة السابقة ذاتها "ص24 :"

"حريتي من دمي / مفرداتي من الشمع
عينيَّ (كذا) مما تغنّي النجوم وراءَ الأبدْ "

من جديد يُرىٰ وهو يعود إلىٰ الذات الإنسانية المتشظية بشقيها: الأنا والآخر، في تجلياتها المتعددة وتحولاتها المختلفة. يقول في مقطع من قصيدة ((محض فم وحيد)) ص25:

"متشكلا منِّي ومنكِ هناك
في هذا الرخام الحيِّ
كيما أطمئنَّ إلى كياني
وأنينِ روحينا الخفيِّ اللون
يقبع في نهار قصيدة أخذت حناني
ومضت... فمن يرثي الرخامَ الحيَّ؟
لون الليلِ؟ ورد النارِ؟ سرَّ الثلج؟ عنوانَ انكساراتي؟."

ومن تجليات الأنا مرة أخرىٰ: الذات الشاعرة وربما الذات الإنسانية عامة، حيث يُرىٰ وهو محمول علىٰ الصليب من قبل صاحبيه. يقول في قصيدة "لن أبوح بسركما ص39 ."

"تحملاني... وفوق الصليب ألم نجوم الدجى
في الظهيرة عن ثوب فاطمَ...
أنثرها في العيون لتزهر مثل دموع المسيح!"

تلك هي الذات، تارة حالمة وأخرىٰ متصدعة أو ملتبسة، أو شهيدة مسفوح دمها، أو محمولة علىٰ الصليب لأجل القيامة من

جديد، أو متمردة، مثل سيزيف، تبحث عن ذاتها وعن الحقيقة، يقول في قصيدة (موسيقىٰ مرئية ص15:(

"وأنا أسير لهوة الماضي السحيقة
باحثًا عني وعن... لغة الحقيقة"

سيزيف أحمله ويحملني على جبل الخطيئة والعذاب". كذلك قوله في (محض فم وحيد) ص25 :

"أنا المصلوب في شفق
أعانق في أعالي الأغنيات
ضباب أيامي بلا عنقٍ
عليها ختم أفعى من ثمود!"

ومن حين لآخر نراه يطعّم أشعاره بإشارات حيوية تحيل إلىٰ موروث ثقافي غربي عابر للقارات والحضارات الإنسانية، فعلىٰ سبيل المثال يستحضر تلك العلاقة التي شغلت المجتمع الثقافي الفرنسي خلال القرن التاسع عشر، في ما يخص بودلير العاشق (شارل بودلير 1821-1867 شاعر وناقد فني فرنسي. بدأ كتابة قصائده النثرية عام 1857)، لتضيء الجوانب الخصوصية والغامضة من شخصيته، وهي قصة عشقه لجان ديفال، تلك المرأة التي حلمت في عالم باريس الصاخب بالثقافة والابتكار آنذاك، فعملت ممثلة

وراقصة إلىٰ أن التقاها في أحد عروضها، ليقع في غرامها ويعيشا معًا قصة حب عاصفة. يقول:

"تقول القصيدة ما لا يقال
تقول لبودلير..: ديفال جسمي
وأغصان روحي وسجني
وحريتي... فمتى سوف أخرج
من سجنها/جسمها المطريّ
متى... سوف أخرج مني؟" (تقول القصيدة ما لا يقال) ص68.

4

الشعر، عند سعدي، يمكن أن يفضي إلىٰ سؤال مشروع: كيف يأتيه الشعر؟ الشعر، بالنسبة له، ليس مجرد حالة شعورية فحسب، إنما هو حالة كيانية ساحرة من الانفعال والتفاعل، تسير في الاتجاهات كافة، لتجمع الشعور جنبًا إلىٰ جنب الفكر، ليس لدىٰ المرسِل وحده إنما لدىٰ المتلقي أيضًا، في فعالية تبادلية يقف في مركزها الإنسان، أما اللغة فهي إشارية، تلمح أكثر مما تصرح، يقول:

"تقول القصيدة ما شفَّ عن جسمك المتموج فيها
فلا يسمع القلب مما تقول القصيدة
غير صراخ الجمالْ

تقول القصيدة ما لا يقالْ" (تقول القصيدة ما لا يقال) ص71.

وقد يبدو شاعرنا متأثرًا بأدونيس الذي يقول "إن لغة الشعر هي لغة-الإشارة، في

حين أن اللغة العادية هي اللغة-الإيضاح. فالشعر الجديد هو، في هذا المنظور، فن يجعل اللغة تقول ما لم تتعود أن تقوله. فما لا تعرف اللغة العادية أن تنقله، هو ما يطمح الشعر الجديد إلىٰ نقله... وفي هذا، يبدو الشعر الجديد نوعًا من السحر، لأنه يجعل ما يفلت من الإدراك المباشر مدركًا"[(15)] !

هكذا، أصبح الواقع العصري والجديد يكلف القارئ مئونة الارتقاء إلىٰ مستوىٰ تلك الأشعار بغية فهمها، وفهم دلالاتها المتعددة والمركبة، أما لو تعذّر ذلك فالتفاعل معها، في أقل تقدير، يكفي، في محاولاته إلقاء القبض عليها. فشاعر اليوم أو الشاعر المعاصر قد تخطىٰ أو تجاوز، كما يفترض، تلك القيم الموروثة من التراث الشعري القديم، وأصبحت تفصله عنه مسافات بعيدة وأخرىٰ شاسعة.

كذلك لغة الشعر المعاصر تختلف عن لغة شعر الماضي، والاختلاف ذاته قائم أيضًا بين شعراء الحاضر وشعراء الماضي. فحياة اليوم تختلف كليًا عن حياة الأمس، الأمر الذي يتطلب لغة مختلفة تعكس حقيقة واقعهم وحياتهم في الحاضر لا حياة الماضي،

فلكل عصر لغته وأغراضه التي تشاكله وأسلوبه الذي يحاكيه، وهو ما يُعرف بـ "مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم فيْ كل عصر". يقول أدونيس "إن الشعر الجديد هو، بشكل ما، كشف عن حياتنا المعاصرة في عبثيتها وخللها"[16]!

من ذلك المنطلق، لم يعد الشعر مجرد شعور وإحساس، أو مجرد حكمة وموعظة إنما كشف وانكشاف. أصبح إبداعًا وابتكارًا ورؤيا مستقبلية، لا تني عن التحرك والتغير والتطور التقدمي. الشعر الحديث مغامرة لا متناهية أو بلا حدود، علىٰ ظهر خيال مجنّح، إنه نشاط إبداعي لا يعرف قيدًا أو شرطًا، قد يصل أحيانًا حد الفوضوية في بحثه عن الحرية المطلقة. يقول محمد برادة "يتبوأ الشعر العربي الحديث من بين جميع الأشكال التعبيرية الأدبية، موقع الريادة والاستكشاف، واللهث ركضًا وراء الحالات القصوىٰ في تجريب اللغة والتشكيل وتركيبية النص"[17].

***

هوامش

(1) موقع القدس: لقاء خاص مع الشاعر نمر سعدي أجرته امتياز المغربي.

(2) أدونيس: زمن الشعر، المقدمة ص9، دار العودة، بيروت، 1996.

(3) المصدر نفسه، ص14.

(4) موقع أدباء رابطة الشام، لقاء خاص مع الشاعر.

(5) الموقع نفسه.

(6) موقع القدس، لقاء خاص مع الشاعر.

(7) جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة، تقديم جميل جبر، ص170، دار الجيل، بيروت، 1994.

(8) أدونيس: زمن الشعر، ص40.

(9) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج2، ص393، المكتبة العصرية، بيروت، 1999.

(10) أدونيس: زمن الشعر، ص21.

(11) أدونيس: زمن الشعر، ص72.

(12) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ص89-90، دار الجيل، بيروت، 1948.

(13) ابن رشيق: العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، ط4، ص123، دار الجيل، بيروت، 1972 .

(14) أدونيس: الشعرية العربية، ط3، ص86، دار الآداب، بيروت، 1985.

(15) أدونيس: زمن الشعر، ص19.

(16) أدونيس: زمن الشعر، ص17.

(17) محمد برادة: اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة فصول، عدد3، مج4، ج1، ص20، القاهرة، 1984

الشاعر نمر سعدي : فوضوي جميل
يعيش بين أمكنة المرئي واللامرئي

وجدان عبدالعزيز
ناقد وكاتب من العراق

رغم حرارة ريح تموز المتسربة من شباك غرفتي، تغريني كلمات أصدقائي المبدعين من الشعراء والشاعرات، فالتزم الصمت، وارتكن للتأمل، حيث احلق بأجواء الجمال التي تحمله الكلمات الراقصة أمامي، فكلمات تتخفىٰ لخجلها في البوح، ومنها تظهر ما تبطن بهدوء، ومنها تصرخ منفعلة، وكل هذا ينطوي برومانسية جميلة تدخل الروح، فتجعلها محلقة في سماء الطهر والانفعال الجميل، مؤسسة لفتح نوافذ من حدائق الحب النقي، بتلك الأدلة المخبئة في قلوب لاتعرف الا الحب، ولا تكره إلا القبح، فتراها قلقة منفعلة تبحث عن الحقيقة.. عشت مع كلمات الشاعر نمر سعدي، وهو يتماهىٰ مع المكان ويمارس نشاطه الشعري في خفاء اللغة وتجلي الصورة.. يقول:

(شاعرٌ هوَ أم داعرٌ إذ يقولُ
ظُفرُ تلكَ التي كنتُ أحببتُها لدقائقَ معدودةٍ في مكانٍ نسيتُ...
ربَّما كانَ في حرمِ الجامعةْ
ربمَّا في القطارِ البطيءْ
ربمَّا في حدائقِ عينينِ صيفيَّتينِ تضيئانِ ما لا يُضيءْ
ربمَّا في الطريقِ إلى الموتِ أو صخبِ الحافلةْ
ربمَّا في مساءٍ بظلِّ المجمَّعِ أو في انتظارٍ طويلٍ طويلٍ لما لا يجيءْ
ربمَّا في ندى الوردِ أو في خطى السابلةْ
كانَ يلعنُ هذي الحياةَ بعينيهِ أو روحهِ الشاعرةْ
كانَ يهذي بغيرِ فمٍ:
ظفرُ تلكَ التي كنتُ أحببتُها لدقائقَ معدودةٍ في جهنَّمَ
حتى ولو سُميَّتْ عاهرةْ
أحنُّ وأفضلُ من كلِّ زوجاتيَ العشرِ....
عانقتهُ ثمَّ وصَّيتهُ بصغارِ الملائكِ..ودَّعتهُ وبكيتُ.. انتهيتُ من الليلِ
ثمَّ مشيتُ.. مشيتُ.. تشقُّ الخيولُ المجنَّحةُ الماءَ فيَّ ولا تستريحُ الخيولُ
شاعرٌ هو أم.. فوضويٌّ جميلُ؟)

وهنا أراه رغم تعففه، الا انه ينفعل ويتهم الشاعر المتماهي في ذاته بالدعارة الجسدية، وهو يخفي نقاء حبه، ويتجول في امكنة حضور الحبيبة، سواء كانت تلك الامكنة حقيقية مرئية، ام افتراضية لامرئية، كحرم الجامعة والقطار، كمكان مرئي، وكحدائق العينين او ندىٰ الورد، وهي امكنة افتراضية لامرئية، ليؤسس الشاعر نمر سعدي، بهذا لفلسفة الحضور الجمالي لانثاه، محاولا الانفعال ضد ثورته الجسدية، بدليل قوله : (ثمَّ مشيتُ.. مشيتُ.. تشقُّ الخيولُ المجنَّحةُ الماءَ فيَّ ولا تستريحُ الخيول)، وهنا كناية بالخيول عن الانفعال العاطفي الذي يجتاح ذاته الرافضة لرغبة عابرة، لاتشبه جمالية الحب، تلك العاطفة النقية التي تسكن الاعماق وتحركها نحو ما هو اجمل في الحياة.. ومن هذه المسارات (اتجهت القصيدة العربية الجديدة في سياقات تطورها وتحديثها المتنوعة الىٰ الاشتغال علىٰ المعنىٰ الشعري بوصفه تجربة تتجاوز حدود الدلالة الكبرىٰ، لتدخل في فضاء السيمياء، فكان المكان موضوعا رئيسا واوليا من موضوعات هذه التجربة. وبما ان الجسد الشاغل الاساس للمكان والمنتج الاول للمعنىٰ، فقد احتفت به القصيدة الجديدة وقاربته بمناخ مختلف ورؤىٰ متعددة، غير ان ذلك لم يكن بالعمق والاصالة المطلوبين عند الكثيرين، لكنه عند البعض الاخر الواعي لحساسيات مفرداته وخلفياتها كان عميقا واصيلا ومنفتحا علىٰ فضاء الموضوع.) ص138 تمظهرات، من هنا تخفىٰ نمر سعدي في

امكنة مثلت حضور الحبيبة، بتأويل المعنىٰ الشعري.. وتعايش مع المتضادات في قصيدة (ذئب الغواية)، بثورة انفاعلية متوترة بين فخي (التفاح، الدفلىٰ)، كثنائية متضادة تظهر قلقه، وكذا في (البنفسج، الحروب)، هذا التضاد والتناقض، حقيقته الحياتية تتسم بالوجودية الحتمية، باعتبار ان الشر والخير والحق والباطل والجمال والقبح، موجودة في ساحات الحياة، وما الشعر ومشروعه الا عمل يقع في دائرة اللاممكن، لهذا سيبقىٰ الشعر والشعراء، ينزعون عن هذه الحتمية الوجودية، ليعيشوا السمو الروحي والبحث الدائم نحو صعود سلالم النقاء والجمال.. يقول أبو الحسن الندوىٰ: "إن الإنسان ليس عقلًا مجردًا ولا كائنًا جامدًا يخضع لقانون أو إدارة قاصرة، ولا جهازًا حديديًّا يتحرك ويسير تحت قانون معلوم أو علىٰ خطٍّ مرسوم، إن الإنسان عقلٌ وقلب وإيمان وعاطفة وطاعة وخضوع وهيام وولع، وحب وحنان، وفي ذلك سر عظمته وشرفه وكرامته، وفي ذلك سر قوته وعبقريته وإبداعِه وسرُّ تفانيه وتضحيته، وبذلك استطاع أن يتغلب علىٰ كل معضلة ومشكلة"، فهل يكون الشعر ساحة لصناعة الفكر الجمالي هذا ما يسعىٰ له شعراء العربية اليوم، ولاسيما بعد التلاقح الفكري بين شعوب المعمورة من خلال المعلوماتية والعولمة الثقافية التي توفر هذا التلاقح، وتعمق اشكالية التناصية بين الافكار واشكال ايصالها للمتلقي.. وكان حراك الشاعر نمر سعدي باتجاه حجز منطقة متميزة، يتحرك فيها معلنا عن رؤية

ذات موقف محدد، وهي العيش ضمن منطقة الافتراض الشعري، ومن ثم التواصل مع فعل الوجود الواقعي، باسئلة متواصلة، كما في قوله: (ماذا تريدُ الأسئلة؟)...

ما هوَ الظمأُ؟

الأقحوانةُ.. عطرُ الماءِ.. شهوتُهُ
المرأةُ.. النورسُ.. الحوريَّةُ.. الرشأُ
يبكي على يدِها من عشقهِ برَدى
وينتهي في حوافيها.. ويبتدئُ
تُعلِّمُ الشبقَ الفضيَّ في شفتي
طيورُها.. كيفَ حولَ النارِ ينطفئُ
الياسمينةُ أجلوها.. فينثرني
صوَّانُها الرخوُ.. أو يعلو دمي صدأُ؟
تسقي خطايَ فراشاتِ البحارِ ولا
تهذي بغيرِ شظايا.. ما هو الظمأُ؟
قصيدتي جرَّها الفاشيُّ حافيةً
من شعرِها.. والندى الجوريُّ يهترئُ
أكلَّما خمشَتْ عصفورةٌ عُنُقي

جاءَ ابنَ زيدونَ من ولَّادةٍ نبأُ؟
ضحكُ الدمشقيَّةِ الغيداءِ يغسلني
بلهفةِ الدمعِ حتى لستُ أنكفئُ
أروادُ فيها بعينيها تُعاتبُني
وليسَ تغفرُ لي نسيانَها سبأُ

فنجد هنا تحولات القصيدة عنده في تناصاتها مع أسماء معروفة في عالم الادب العربي كأبن زيدون، نجدها تتحول الىٰ مايشبه فتاة، يجرها الفاشي من شعرها، الا انها تتضمخ بالندىٰ وعطر الجوري اذن (لاتوجد في الفن حقيقة عامة مشتركة، ولذلك لاتنشأ مشكلة في الفن اذا اختلفت وجهات نظر الفنانين لشيء واحد، لان لكل منهم حريته في التعبير عن الحقيقة)، وعبر شاعرنا هنا باسلوب قرأني جميل عن خلجات نفسه الباحثة عن حقيقة الجمال والتي كنّاها بـ(طيورُ المعاني الحبيسة)، وبهذا التعبير عن الحب من خلال اللغة التي يقول عنها ادونيس : (اللغة اكثر من وسيلة للنقل او للتفاهم، انها وسيلة استبطان واكتشاف، ومن غاياتها الاولىٰ ان تثير وتحرك، وتهز الاعماق وتفتح ابواب الاستبطان. انها تهامسنا لكي نصير، اكثر مما تهامسنا لكي نتلقن. انها تيار تحولات يغمرنا بايحائه وايقاعه وبعده. هذه اللغة فعل، نوات حركة، خزّان طاقات والكلمة فيها اكثر من

حروفها وموسيقاها، لها وراء حروفها ومقاطعها دم خاص ودورة حياتية خاصة، فهي كيان يكمن جوهره في دمه لا في جلده، وطبيعي ان تكون اللغة هنا ايحاء لا ايضاحا) اذن لامجال لقول كل ما باح به الشاعر نمر سعدي، لان شعره يحتاج لعدة قراءات متأملة، لاسترداد المعاني التي جاءت بها قصائده..

***

الاستثمارُ والتحوُّلُ في رؤى
الشاعر الفلسطينيِّ نمر سعدي

وجدان عبدالعزيز

ناقد وكاتب من العراق

كنت قلقا فعلا، مستغرقا في نص، قد حملني إلىٰ منتصف الليل، تداعبني أمواجه وهي تحمل أنينا اخرسا، بيد أنه يبث إشارات في عتمة تضاء بين آونة وأخرىٰ، ثم عاودت قراءة النص، حتىٰ بزغت (شمس زليخة) وأضاءت المكان بجمال بهي، قد يكون قبسا من جمال يوسف النبي (ع) فكان الشاعر نمر سعدي تلك الذات المنفعلة دومـًا، وهي تحاول أن تضع قدمها في ساحة الثقافة العربية الواسعة وتستشعر الحزن وتغوص بعيداً، ليكون الأسىٰ أخف، ومن ثم تبدأ الزراعة من جديد.. نمر سعدي شاعر عربي نزع كثيراً عن الشعر إلىٰ المشاركة الفعلية في نقاشات حول رؤىٰ الثقافة وحصد إبتهاجات المشاركة في منتهىٰ الشجاعة، جعلني أستميحه عذرا، لأمنح العالم (ما هو أكثر بقاءً من الحب) في قصيدته (شمس زليخة) حيث كان الإستثمار فيها لقصة قرآنية بالغة التعقيد النفسي وكان الصراع علىٰ أشده يبث شظاياه المتطايرة بين الكينونة المطمئنة وبين

الأخرىٰ القلقة والجائعة دومـًا، هذا الصراع المستثمر في نص (شمس زليخة) أخذ أبعادا إضافيةً غير ما كانت عليها القصة القرآنية، وهو توجيه رؤيوي إستثمر عملية التناص في تلك القصة وأحالها إلىٰ إرهاصات شعرية بالمقلوب، ليغاير ويناور فيها، كي تترشح من خلال هذه المعاني، قد يكون قصدها الشاعر نمر سعدي بلحظة واعية مثل قوله:

(لا تُراودْ زليخةَ عن شمسها في المساءِ
فما دامَ قلبُكَ قدْ قُدَّ من قُبُلٍ
فصَدَقْتَ... وكانتْ من الكاذبينْ
لا تُراود زليخةَ عن نفسها
فالسماءُ التي أمطرتكَ
زهوراً وناراً
وصخراً وغاراً
ومجداً وعاراً
تميلُ على نقطةٍ من حنينْ)

وهنا قلب مراودة زليخة ليوسف (ع) إلىٰ أن هناك من يريد مراودة زليخة نفسها، وقد تكون المراودةُ من نوع آخر بجعل زليخة تراود نفسها بالخير والمراجعة، وبالتالي فإن فعل المراودة يقع بين صراعات التقابل والتنافر والذي حصيلته الوصول إلىٰ نقطة مشتركة

بين صالح وطالح البشر ألا وهي (نقطة من حنين). في القصة القرآنية تحولت زليخة من مرحلة الشد العاطفي الشرير إلىٰ الشد العاطفي المكتنف بالحب والنقاء في مراودتها ليوسف علىٰ نفسه، والشاعر إستثمر كيف تحولت إلىٰ إنسانة سكن أعماقها الحب، فطهره وجعله وفيًّا لنبضات الصدق بعيداً عن ربقة رغبات الجسد الآنية، فكانت عند الشاعر (معلَّقةٌ فوقَ حبلِ سرابٍ وطينْ).. وهي تقضم تفاحة آدم وتفح فحيح الأفاعي، هذا الصراع المستثمر شعريًا دفع بالنص إلىٰ تقولات حملت الكثير من الرؤىٰ في صراع رغبات الجسد الآنية ورغبات الروح بعيدة المدىٰ.. يقول الشاعر:

(دَعْ وصايا ابنِ حزمٍ
ودَعْ ما يقولُ الفلاسفةُ القُدماءُ عن الحبِّ..
والجسديِّ الذي ليسَ يوصفُ
إلاَّ بحسِّيةِ الشهدِ فيهِ
ودَعْ فرَسَ النارِ تجري إلى منتهاها
إلى مبتدى النهرِ في دمِكَ المتحدِّرِ
من رفرفاتِ اليمامْ
دَعْ وصايا ابنِ حزمٍ
ودَعْ ما يقولُ الندى الذكريُّ
لأنثى الخزام)

وهنا قاد الشاعر نمر سعدي ثورة جديدة برؤية للحب جديدة، تخلق عالمـًا متوازيـًا لحفظ نقاء الذات والسمو بها عن دنايا أرضية وهي (يلزمها قدرٌ حارسٌ) فالإرادة الإلهية حفظت يوسف النبي من دنس الزنا، لأنه يحمل الذات المهيأة لمحاربة القبح، وارتدَّت داخل ذات زليخة إلىٰ حب حقيقي وعشق إلهي، بعدما كانت نزوة عابرة رافقها تعسف وظلم بحق يوسف وندم وقهر لحق بزليخة الثانية، حتىٰ استقام الحال إلىٰ أن زليخة تحولت إلىٰ عاشقة نقية الأعماق، وعشقها رافقه تجربة وصراع تحول إلىٰ إيمان صادق، من حيث تحوَّلت بحب يوسف من كافرة ذات أعماق سوداء إلىٰ مؤمنة ذات أعماق بيضاء، مما دفع بالشاعر أن يقول : (فما زال في كاحل الأرضِ / ورد ووشم لمعزوفة الماء) وهي دعوةٌ جماليةٌ لاستثمار عاطفة الحب إنسانيـًا لتكون دومـًا معزوفةً لغسل أدران الذات وتنقيتها بعيداً عن رغبات الجسد، كي ترقىٰ رؤية الشاعر نمر سعدي نحو رؤية موضوعية واسعة في نصه (شمس زليخة).. وهنا أؤكد بأن الشاعر نمر سعدي لا يمكن الإحاطة برؤاهُ الشعرية بهذه العجالة إضافة لهذا فإنه شاعرٌ له نصوصٌ طويلةٌ حملت الكثير وهي مدعاةٌ للتحليل والدراسة وأنا كوني أحد المتصدين للإنتاج الشعري العربي أقول ما قدمته هنا ماهو إلا تثبيت لرؤية الشاعر العامة في تناصهِ مع النصوص

التراثية العربية وإني أعده في قابل الأيام بدراسة وافية عن ديوان كامل لهُ كي أكونَ وفيًّا لإنتاج هذا الشاعر العربي المبدع والله ولي التوفيق.

*****

نمر سعدي بين اللازورد الموسيقى والتاريخ

نور عامر

ناقد وكاتب من فلسطين

" اللازورد " من الأحجار الكريمة لونه أزرق سماوي، ايحائات الألوان، الأزرق الإمتداد والبعد.

مفردة تتردد كثيرا في شعر نمر سعدي، ديوانه الرائع "موسيقىٰ مرئية" يدخل اللون في البحوث السايكولوجية، لم تأت مفردة اللازورد عبثا في شعر نمر سعدي، ربما هي تعبير لا واع عن نفس تتطلع الىٰ الطموح التحرر والسمو .

لدينا في هذا الديوان خميلة ثرية متعددة المزايا والمضامين، والميزة الجليّة، الرؤية المشبعة ثقافة وعمقا، لا سيما السياق التاريخي بمعناه الأدبي، أي ان الشاعر الفنان يكتب تاريخ عصره بأحاسيسه ومشاعره الإنسانية. والشعر يُعتمد عليه في الكشف عن تاريخ الأمم. فلولا الشعر ما عرف تاريخ العرب في الجاهلية. وعندما أراد الأديب الفرنسي "باسكيه" أن يضع كتابا عن الحياة الوطنية في القرون الوسطىٰ لم يجد سبيلا إلا قراءة شعر الملاحم .

ونحن كمثال لم نع شعورا وإحساسا حقبة سوداء من تاريخ العراق لولا قصيدة السياب "سربروس في بابل" الموجهة ضد حكم عبد الكريم قاسم، وقد خفيت عن الرقابة. سربروس هو الكلب الحارس لمملكة الموت في أساطير الإغريق.

وهكذا ينداح سلطان الشعر ليزاول تأثيره جغرافيا وأدبيا، يمتد حضور السياب الىٰ قصيدة موسيقىٰ مرئية : " من قاع نهر بويب تصعد لهفة السّياب / يأتي صوته المحمول فوق الريح/ يصرخ في عراء الروح / يعصف بي كورد غامض المعنىٰ / يعانق داخلي المجروح ."

يمكن أن نحلل قليلا استضافة السياب في النص باكثر من مغزىٰ: جدلية الموت والحياة تستيقظ وتتداخل. .

السياب مات، لكن كلمته الصادقة لا تموت، صوته ما زال يجأر في ضمير العالم. وليس التأثر بالسياب هو الدافع الرئيس في هذا السياق، إنما نقطة الإلتقاء تؤكد وتحقق العلاقة وجودا وحركة بين مرحلتين حرجتين من حيث ظلم الإنسان للإنسان، مرحلة السياب ومرحلة واقعنا العربي المأساوي. هكذا أفهم المسألة في المستوىٰ البسيط، كذلك أفهم وبنفس المستوىٰ الإشارة الىٰ أمرئ القيس، كواحد من الشعراء الفحول وعىٰ مأساته عقليا، في ليله الطويل.. وفي نبيذه ..

إمرؤ القيس لا يبدو دخيلا علىٰ النص أو نافرا عنه، بل هو مضفور في النص معنىٰ ومبنىٰ. وهذه من التقنيات الهامة في الشعر الحديث.

نص نقرؤه قراءة متئدة بغية استيعابه ترميزا ومغزىٰ :

"في ليلة ما عندما يصحو الندىٰ في حنطة الأيام / سوف يضيئني وجعي الذي أدمنته زمنا... / وتركض في مفاصل وردتي نار المجوس... / يحيلني ندمي الىٰ أنقاض فردوس / يحيل دمي فقاعات النبيذ المرّ في قلب امرئ القيس / المعذب بالجمال الحرّ أو بلحاق قيصر ."

كاد نمر سعدي باعتماده قليلا علىٰ الإيحاءات الخارجية أن يعيدني الىٰ بول فاليري "إذا آمن الشاعر بالوحي قتل الإبداع" .

لكن ايحاءات سعدي التي تتولّد فيه هي الغالبة، وهي تتلّون حسا مرهفا، حدسا وموسيقىٰ. من هذه المقومات نستنبط الجمالية ذوقا ومتعة، من خلال جمال الفكرة واللفظة والعبارة والاسلوب :

"كان علىٰ ناصية الحلم يناديني / وكنت متعبا أبحث عن سماء / كان يؤاخي صمته المنقوع بالنار / ويرفو غصّة الهواء بالأشجار والنساء / كان... / وكنت متعبا أبحث في الجحيم / عن فراشة من ماء ."

وإذا أخذنا الموسيقىٰ في هذا الديوان كموضوع مستقل، نجدها تارة خالية من الصخب والأوتار التي تدق حركة الأذن؛ موسيقىٰ هادئة صدىٰ وإيقاعا، تدغدغ الشعور نقاوة وصفاء. وطورا موسيقىٰ بالكاد تسمع .!

ومرد ذلك في اعتقادي أن الشاعر يتأرجح في عالمه الشعري بين حالتين، حالة الحدس والخيال والإحساس المرهف، وهذه تستدعي موسيقىٰ معينة كضرورة لتحقيق الجمالية الأكثر ثراء لمثل هذا المناخ.

والحالة الثانية نزوع الشاعر ـ أحيانا ـ الىٰ الواقعية والجد في طرح أفكاره وبث رؤياه، الىٰ درجة انه يمنطق المسألة، أو يحاول فلسفتها؛ فتنخفض عنده عاطفة الجمال، لذلك يخفت صوت الموسيقىٰ أمام حاجز الواقع شبه المجرد، أو الواقع الموحش بدرجة لا تسمح للنغم أن يتأود أو يتألق.

وعموما لا تثريب في الشعر إن خفَت فيه صوت الموسيقىٰ، باعتبار أن مفهوم موسيقىٰ الشعر في العصر الحديث قد تغيّر وتبدل، وأصبحت الموسيقىٰ الحسية ذات الدلالة والإيحاء تنافس موسيقىٰ الصوت والنبرة بألوانها ولهجاتها، فوق المنابر والمحافل، وفي طيات الكتب. ولذلك أسباب وظروف موضوعية لا متسع لشرحها الآن .

كلمة أخيرة، هذا العمل الإبداعي "موسيقىٰ مرئية" حقيقة أنه يحتاج الىٰ أكثر من وقفة وأكثر من مقال، لما يضم بين دفتيه من موضوعات كثيرة خصبة ذات شحنة تعبيرية معبأة بالتجربة والعاطفة والخيال.

*****

نمر سعدي.. الرومانسي الجديد

د. ثائر العذاري

ناقد وكاتب من العراق

لو كنت لا أعرف نمر سعدي لظننت أنه شاعر ستيني، فحرصه علىٰ تقاليد قصيدة التفعيلة حد التقديس يشجع علىٰ مثل هذا الظن..فضلا عن انتهاجه نهج الستينيين في محاولة غزل خيوط الواقع ونسجها في نسيج رومانسي يتخذ من عناصر الطبيعة وعاءً لقضايا الفكر .

للوهلة الأولىٰ تبدو قصائد سعدي كأنها تقدم استعراضا للطبيعة، تتخذ فيه عناصرها سلطة مطلقة للفعل، ففي نص مثل (أغنية تحت أمطار أبابيلية) نلمح في العنوان عنصرين تقليدين من معجم الرومانسيين (أغنية – أمطار)، وفي القصيدة نقرأ :

في ليلةٍ ما عندما يصحو الندى
في حنطةِ الأيامِ
سوفَ يضيئني وجعي الذي أدمنتهُ
زمناً...وتركضُ في مفاصلِ وردتي

نارُ المجوسِ..
يحيلني ندمي
الى أنقاضِ فردوسٍ
يحيلُ دمي
فقاعاتِ النبيذِ المُرِّ
في قلبِ امرئِ القيسِ
المُعذَّبِ بالجمالِ الحُرِّ
أو بلحاقِ قيصرْ

إنّ (وجعي) لا (يضيئني) إلا (عندما يصحو الندىٰ)، وهذا الفعل متوقف تماما علىٰ الشرط حتىٰ أن الشاعر لا يعرف موعدا له (في ليلة ما)، الطبيعة هي الحاكمة بسلطتها القسرية التي تجعلها وحدها القادرة علىٰ التحكم بالزمن .

يحاول الشاعر في بعض قصائده الهروب من هذه السلطة المطلقة، ففي قصيدة (قلبُ الأسفلتْ) تظهر صورة شخصية لرجل يطغىٰ صوت وقع خطاه علىٰ كل شيء:

أبداً ترنُّ خطاكَ في صُمِّ
الشوارعِ كالنقيرِ
ويصُدُّكَ الزمنُ المريرُ
عليكَ يوصدُ ألفَ بابْ

منفاكَ أرضُ سدومَ....
فأحملْ قلبكَ المسكونَ
مثلكَ بالمزاميرِ
القديمةِ..... أو صدى القبلاتِ
وأرحلْ عن زمانكَ
أو مكانكَ
في اغترابِ

فعلىٰ الرغم من كون هذا الشخص محاصر بالزمن، منفي إلىٰ (سدوم) فهو يظهر وهو يفعل أو يمتلك قدرة علىٰ الفعل حتىٰ لو كان الفعل محض صوت خطىٰ عالية، ولكن هذا لا يستمر طويلا، فسرعان ما تدركه سلطة الطبيعة وتبتلعه أو تحيط به من كل صوب :

يا آخري المملوءُ بي
المحفوفُ بالأطيافِ أو قلقِ ألضياءِ
أو السرابْ
لأكادُ أسمعُ من بعيدٍ
رجعَ وسوسة الخمورْ
وأرى الدجى المُنسلَّ من
كهفٍ جليديّ العصورِ
يلُفُّ أغربةَ المدينة في المدارجِ

بالضبابْ

هو ذا تلفه الطبيعة ضبابا وسرابا يخفيه ويسلبه القدرة المصطنعة علىٰ الفعل.

إن الإحساس بالعجز عن الفعل والذوبان في الطبيعة الطاغية عند نمر سعدي ينعكس في مظهر فني لافت للنظر، وهو كثرة ابتداء أسطره بصوت ساكن:

صوتُها لا أطيقُ ابتسامتَه الماكرة
ليعلّقَ أحزانها فوقَ أفراحِ قلبي
ويبرأُ من دمها.....
الحزنُ ذئبٌ بعينيَّ أعرفهُ.....
الحزنُ ذئبٌ بريءٌ يلاعبني
ويُمسّدُّ لي وجعَ الذاكرة

في السطرين الرابع والخامس يلاحظ ابتداء الشاعر بكلمة (الحزن) ولأن الهمزة هنا هنا همزة وصل فإن البداية الصوتية الحقيقية للسطر ستكون بصوت اللام الساكنة. هذه الظاهرة تكاد لا تخلو منها قصيدة من قصائد نمر سعدي :

الحياةُ كما أنا أفهمُها
لهفةٌ لسماءٍ ملوَّنةٍ بالنداءاتِ

روحُ الينابيعِ
تحملُني مثل عطرِ الندى
زهوةٌ للحصانِ المُجنَّحِ فيَّ
احتراقُ الأباريق في
قُبة الليلِ

في هذه القصيدة يحاول الشاعر صياغة مفهوم ذاتي للحياة غير أنه يبدأها بصوت ساكن، وهذا طبيعي حسب عقيدته في تسلط الطبيعة، فهذا الذي يحاول صياغة مفهوم الحياة يفعل ذلك لأنه يراها (الحياة – الطبيعة) القوة الوحيدة القادرة علىٰ الفعل، أما هو فـ(ساكن) لا يقدر الا علىٰ التأمل ومحاولة الفهم .

في قصائد الشاعر نمر سعدي لا يستسلم وحده لسلطة الطبيعة، بل إننا سنكتشف كلما تقدمنا في قراءته إن المتكلم في قصائده ليس نمر سعدي بل ضمير الإنسان، فالجنس الإنساني كله مسحوق بجبروتها:

صرختُ من أبديّةِ
الأحزانِ في عينيكِ
يملأني إشتهاءُ الريحِ
أين يكونُ عدلكِ
يا يبوسُ؟/

هنا على زهر السياجِ
ظهرتُ في ثوبي
انسللتُ كآخرِ الأزهارِ
خلفَ القلبِ نافذةٌ
من النعناعِ
خلفَ مروجِ نارْ
ما غيرَ سيّدةٍ هناكَ
يشعُّ منها دمعها
قمراً ينامُ على المدينهْ
ذابت أصابعها على حجرٍ
لتأخذَ شكلَ نورسةٍ حزينهْ
غنّتْ بلا معنى
وأتعبها الحنينُ سدىً
فنامتْ في السكينهْ

هذه السيدة صورة للآخر الذي يحس الاستلاب فيسلم أمره ذائبا في (قمر) و(نورسة) نائما تحت وطأة الإحساس باللاجدوى والطبيعة ذات السلطة الطاغية .

وتبلغ سلطة الطبيعة أحيانا حدا تنفصل معه (الذات) عن الضمير:

شجرٌ وراء غموضها الشفافِ
في المقهى
وقلبي نجمةٌ أخرى
معّلقةٌ على الأغصانِ
لا مطرٌ يوافيني
بما ترثُ الأنوثةُ من بهاءٍ
ناصعِ التكوينِ
أحلمُ بإنكساري
مثل نهرِ الضوءِ
موسيقى يرّفُّ.....
كحفنةٍ بيضاءَ من عدمٍ
ومن ندمٍ
يهدهدني لكي يغفو أنايَ

الحديث هنا عن الذات يبدو فيه كأن الضمير منفصل تماما عن الأنا المسحوق حتىٰ يسقط في (العدم- الندم)، وعندها يكشف الضمير انفصاله عن الذات بعبارة جلية (يهدهدني لكي يغفو أنايَ).

وفي واحدة من قصائد الشاعر التي كتبها عام (2000) يصرح بفلسفته هذه، التي تقول بعجز الإنسان عن الفعل وخضوعه للسلطة المطلقة للطبيعة (علىٰ غير هداية):

بغير هدايةٍ أكتبْ
بغيرِ هدايةٍ كالنهرْ
ركضتُ مع الحياةِ
لغيرِ ما هدفٍ...وكان الدهرْ
ورائي مثل طيف الذئبِ
في قدميَّ قيدَ التبرْ
كثيراً سوفَ تقرأني وتقرأني
وتستغربْ
ولكنيّ كذلكَ حين أكتبُ
لوعتي والشعرْ
بغيرِ هدايةٍ كالشوقْ
لأني عشتُ أيامي
بغيرِ هدايةٍ كالشوقْ
كآخر نجمةٍ سقطتْ
أو انسبرتْ
بغورِ العشقْ

والغريب أنه يحاول هنا أن ينسب حتىٰ هذا الإحساس بالعدمية واللاجدوىٰ الىٰ الطبيعة فهو ليس الا (نهر) يركض في الحياة.

للأنا قاموسٌ وللشعر أحلام

قراءة أوليَّة في قصيدة (البهاء المراوغ)

رحاب حسين الصائغ

شاعرة وناقدة من العراق

أحيانـًا يخترق الشعر أسطح الغيمات وينحرف نحو جهةٍ ما باحثـًا عن جرار من النور، يشكِّلُ ما يراه الشاعر من تلألأ نورهِ وحلمه السنوني، كعاشق لابتسامات النجوم ساكبـًا عليها غضب الوانه المتشابكة مع بقايا من الشمس حين الغروب، تراقفها شهب لامعة لما في نفس الشاعر، واجداً قنواة خالية من رتق الهموم وكأنها مندفعة لجهة فضاء مترع بالبياض، انفلاتاته محملة برموش الغسق وضيوف الصباح تهل مثل الندىٰ علىٰ روح قصائده.

الشاعر نمر سعدي وقصيدته (البهاء المراوغ) يرسمها علىٰ شواطئ أشكاله الفنية بريشة صنعت أليافها من خيوط الشمس الحارقة، قصيدته التي تحمل عنوان طويل تتحرك مع التفاؤل الرمزي، آليتها معاصرة جداً جداً محصنة بخصوبة فكرية ذات قطب واحد في الأسلوب، إنها تعشق النسق الجديد المتماوج بعدد من

الأجناس الأدبية، والمستقرَّ علىٰ لمحة واحدة، نسقها جديد وجميل يتغذي علىٰ العشق للشعر والمفردة، قصيدة لنمر سعدي تتجمل بروح الشاعر وحماسه، نصها الخطابي يعمل علىٰ تواصل الزمن المبني علىٰ السيطرة ذات مشاع في المفرد، كالفراشة الحزينة دائمة البحث عن مكان جديد لتبدد الآمها، حيث يقول:

(كل هذا البهاء المراوغ حريتي ليس لي) أولاً يحتفي بالبهاء ويوصمه بالمراوغ ومن ثم يقدمه علىٰ أنه ليس له، اذا كانت البداية بهذه الصيغة اللافتة والحاملة وعي الخلاص أو البحث عن حضور متفشٍّ للأنا أو الذات الشاعرة، لأنه عندما يوصم البهاء بالمراوغة يعني تأسيس صورة فعلية للحوار الشامل لكل ما في القصيدة المتكونة من (95) سطر، أين هي الحرية التي يعتبرها ليس له، هو نفعيٌّ لهذه الدرجة في الاسترسال، وله كمٌّ هائل من القصائد التي علىٰ نفس الحجم، الشاعر نمر سعدي كالصقر يصنع له جبال من الشعر ويقول ان الحرية ليست له مع انه في كل قصيدة يضيف له جناحان ويحلق بهما عالياً دون قيد او خوف، قصائده رموزها متنوعة كما في قصيدته، حيث يقول في البداية:

خفقةٌ للكلام البريء على ماء أوجاعنا
شهقةٌ لانتباهات أفراحنا
وشذىً مرمري يغلف شهوة اكتوبر

وخريفٌ من الذكريات التي أثقلت
كاهل الطفل في شاعري

المنجز الشعري عند نمر سعدي الذي يتخطىٰ حدائق الحداثة في طرح تشكيلات متميزة مع ميل قليل لأسطرت العالم ومنهجية الماضي، الشاعر نمر سعدي لا يميل للأحلام، يريد خروجاً مرغوباً فيه، عند نمر سعدي نوع من الاستدلال علىٰ المفردة في الشعر وغادياته، له دائماً عودة للنسق الجمالي تبرق جوانبه علىٰ باقي الاشرعة المحيطة بحقله الذهني، حقيقة قوله (الذكريات اثقلت كاهل الطفل في شاعري) غطاء مضمون لمجهوده في البحث عن الانموذج الجدير ببلورة الصورة، انه يتلون بعمق تمهيداً للتغيير المصاحب لحالة الانعتاق، ثم يقول :

إلى ما وراء الغد الحلو..
سحرُ أزهى الزرافات في سفر تغريبتي
قدرُ الشعراء.. انفجاراتُ شوقي.. انكسارُ الحنين

نمر سعدي، لا يعمل علىٰ تخريب اللغة في نسج المفردات يحاصرها ويخيط من تجليات معانيها شبكة يصطاد بها عبارات تحمل الايحاءات المسخرة بنظام يطارد النص داخل النص، للأشتقاق عنده لا يوجد تهاون رغم مضايقات الحبكة الشعرية في

القصيدة الواحدة، قد يكون مختلف عن الآخر، منسجم مع نفسه، يقول :

غمام أليف وقبرتان تحومان
حول دم لا يُرى في مدى اللا مكان
نداءٌ أخيرٌ لنظرة قدّيسةٍ فوق نار الصليب

الشاعر يلعن ضمائر هذا الوطن الغارق في هواجس، أهدافه الهرب والخوف من سعير الحق والاخلاص، نمر يفكر في الفضاء الحالم علىٰ وجود أصبح مؤثراً في كل تكوينات الحياة، لذا قد نجد صعوبة في تحليل متغيراته الصامتة وما يبثه من وجع بين ما يوجد من تمزق ملأ جلده بالطعن ومضمونه خالٍ من العصافير والحمام والفراشات، ولا يخلو من وجود الذئاب، وما تحمل أسنانها من دم الابرياء، حيث يقول :

هواء تكسر مثل الزجاج على بحر عينيَّ ملء نهار اللهيب
هوى عشت عشرين عاماً أسائله في الليالي
ولكنه لا يجيب
لغة لا تغير احوالها
وندى يتقطَّرُ من لهجة العندليب

تعويض جميل لصورة نقيضة يحمل مشرط نحويتها بقدر خارج عن التحريف بحوافيه الحادة، يسخَر من سيطرة النماذج الرافضة

للفعل الواسع ذي المجد العريق، عنبر ركائز الشعر عند نمر سعدي، تعمل علىٰ التفتح نحو الامل المصلوب، اما اكتنازات القصيدة تعيش علىٰ جمهرة التداول المتقن للصورة المعاصرة مروراً بهواء البحث ونسيج الزمن لتوقيت ثابت للحدث وشد أربطة الوجود الفعلي لمكونات الفكر :

حفيف النوارس ملء الشرايين
والقلب ألف غريب غريب غريب غريب
رؤى تتناسل من سدرة المنتهى كالدموع

جمالية هذه الصورة منسجمة مع عودةِ الأزمنة للموروث والارقام التي عادةً ما تكون آحادية، أما نمر سعدي استعمل الأرقام المزدوجة، أي تكراره أربع مرات مفردة غريب، يعني هذا تمالك في زج الرقم الزوجي في جمرة التمرد، وذكر سدرة المنتهىٰ يتناسل منها الالم، تتخذ شكلها المثمر في غرس الجمالية في الصورة الشعرية ومن ثم كشف المسوغات الذاتية في التحولِّ أيضـًا.. يقول :

وتيبس في كف ايزيس مثل المحار الالهي ....
مثل ابتسامات سيدة في الثلاثين
تذهل ألف ليوناردوفنشي وتوجعه
مثل سهم يطير الى القلب من فجوة الغيب

انتقل بنا نمر الىٰ الادب العالمي(ايزيس والمحار الالهي وليوناردفنشي وتوجعه) امنيات متجبر يكافئ سنادين ملؤها شهوات فائتة من رحم مقلوب لغربان مضرة ولم يهمل التلوين بالفتح منها ابتسامة امرأة في الثلاثين، مما يعني قمة النضوج المسلوب من حبات حياتنا المتشابكة والمهملة مع انها في قمة أوجها وبحاجة ماسة للمحاولة الجادة في اتخاذ ما يلزم من شأنها، النضوج الذي لنا منه اكثر مما لدىٰ الآخر، نص نمر سعدي يحمل نوعية من السيطرة علىٰ تبادل في اللذع من الفكر ولكن من يفهم؟، اشتغالاته متمركزة علىٰ كشف القلق والتعتيم لما نملك من امجاد تعبث بها رياح الغدر من الطرفين المسيطرين، أمجادنا تسلق في قدر الزمن وامجاد الآخر تقدم في اطباق من الذهب للتباهي بها، يقول :

والموت في زمن الموت لحنٌ رتيب رتيب
والحان جاز مكسرة كالهواء وموسيقى بوب
وازدحام على شفة الهاوية
وخريف بلا أيِّ عطر وايقونة عالية .

الشاعر نمر سعدي يعتني بوظيفة الابداع الصادرة من وعيه وبكل حرية يكتب ما يشبه الوجدانيات المعذبة والتي تصل اعمق نقطة في أليم جوارحه النفسية، غارقا في الايحاء والاشارة غير المتخمة بالسوداوية العابثة، مستحدثات الشاعر نمر ايحاءات جاءت

من تولد الاوجه المتعاقبة للمضمون، ان العملية الشعرية عند نمر سعدي جلَّها تعتمد البحث عن الجديد، ونمر يمدُّ أسلوبه بكل جديد ويعمل علىٰ حضور التفجر عنده :

كل ما رف في ماء اجسادنا
كنداء الفراشات في الفجر يصنع في
حضرة الخدر الازلي غواياتنا وانتظاراتنا
لما لا يفسر من شوقنا

سوناتا نمر سعدي تبعث الانتعاش الذي تسود خطواته التحققً، اما ما لا يتفق والسلعة المحترقة من المدح والكذب او ما يحدث مع البعض من مسح العملة لمصلحة التزييف، نمر يقمع الصور الباليه من عمق مجتمع كامل متوغلاً بالدلالات المتعددة، يهتم بما تستوجب اشكاله الجديدة في عملية الذات الواعية، يسعىٰ الىٰ عدم تقلص نقاط الاختلاف وتوصيلها للقارئ، تفاسير قاموسه لها تمايز فيما يدخل نصه حين يدخل الحياة يجاذبه عمل كعمل الحطاب حين يوقد ناره ليتدفأً، وما يحمل من خبرة بكل انواع الحطب لذا تكون ناره متزنة ولها ادامة حتىٰ بعد ان تصبح جمراً، رمادها لن تهدأ حرارته بسرعة :

كلها.... كل هذا البهاء المراوغ حريتي ليس لي.... ليس لي
كل هذا البهاء المراوغ لك

آه يا شهقة من عبير خضير
تغشي مساءً سراب الفلك
وتسبح في دمنا ....

كالمسخ اللزج هذا الوقت المقطوع من ازمنة اعمارنا المفتتة وسيادتها المطعونة طعنة وراء طعنة في غيب الابتذال وتبعية انانيتنا في شبق الأحادية من الحياة، شأنها تكوين طريق الغربة وما يقضُّ مضاجع محارب فقد الطمأنينة، وخلق في افلاكنا السراب، وضعت زمكانية التاريخ في العراء،وأصبح كل ما نملك من سيادة لغيرنا، كأننا بلا فيزيائية او مرجع قديم، نشهد ان نمر يعمل بهذا المجال، حيث يقول :

حرري لغتي من براكينها
حرري رئتي من بكاء الضباب
مرري بسمة فوق ماء الحضور

يسفه التعقيدات ويقدم عقال الشكل في توئيدة مسوغتها تتكفل ببعض التطبيقات المستعملة في الحدث والواقع علىٰ الحدث من مجريات، يعطينا تشكيلات لفهم ما يلزم فهمه واسباب ما يراد ان يعرف في منهج خاصٍّ بنمطية تقودهُ في بعض الاحيان للتكرار، يقول :

بؤرة الظلمة الغادرة
تحاصر روحي وتصطادها

ثم تقتلها وحدها... وحدها دونما ذاكرة

ما يمنحه من صناعة لنفسه تجعله محتفظا بمكونات تشبه التاريخ الخارج من تحت تأثير مشاعر عالقة في التجريب، غايته استخدام الوعي المتشكل في ذاتيته، للشعر علاقة بين اللغة والمتعاقب من الافكار عند منتج النص، والتخيل الذي يملكه الشاعر نمر سعدي عبارة عن شحن تفاعله بجهد معني بالواقع، وما يوظِّفه من استدلالات لمرجعياته ال.. غير تقليدية في منح الفكرة صورة جميلة وذات اسلوب مختلف، يقول :

دافعت عن ارض منفاي.... منحة حريتي
قدري المتأرجح ما بين بين
كلما انتحرت بسمة فوق هاوية لشفاهي
ترامیت في حضن أخرى وجاملت من دون أي حماس
ورممت اغنيتي مثل ناطحة من عواصف نائمة في الشرايين
ملء عيون الليالي وملء انتباه الفصول

الفرق بين الجميل والقبيح متحركات مشتقة في المظهر المحسوس للصورة الأولية في حسيِّة معرفية مرتبطة بعالم التمظهر والمطروق، يقدم صور مبدعة في الجانبين الروحي والمادي باعتبار ان الاصطدام يشكل قوانين الدوافع المستعان بها والمعايير التي صيغت منها الصورة، الشيء الجمالي في الشاعر نمر سعدي، يقدم

عطاء شعري في ازاءات منثورة بينه وبين الآخر، وبينه وبين الواقع، ارتباط منسجم نسيجه الفكري لا يحمل التضارب بل نوعاً من التقارب المشع ليخلق الجمالية في شعره، بمقتضىٰ انساني وجودي يحثُّ علىٰ مؤثر رؤياهُ كشاعر، وتنوعه المتغاير هو لازمة لنمر، يقول:

عزلتي في الكلام موزعة
نصفها لابن حيان والنصف الآخر لي
لأبايع زهر السهول
ثم انقض ذاتي مليًّا وأهدي ذئاب الفلا للوعول

طوقنا الشاعر مباشرة بما يسمىٰ باهداف المحاكاة المعقولة من وجهة نظره، انه معذب في مسعاه أمام حاجاتٍ أصلها الصراع ولوحتها الغياب المستمر للمألوف من الجذر، هو مملوءٌ برؤياه ومتقن في التكافئ للملامح يحتويه غليان علىٰ المشهد العام للحياة، وصفه ينكب في عروض متفقة واسعة الآفاق، مترامية في الجدية، لبنة تؤسس لاستلهامات معينة، يكتب ليعرف أن أصابعه ما زالت حية وقلبه يموج بالمخاطرة في المجهول، كأنه قارب متجهٌ نحو العمق من البحر يطوف مع حروفه المبجلة متربعا عرش الفضاء، يقول :

هل أقول
انا انزف ياصاحبي السرمدي الهوى بدماء النجوم

بقصائد مخفورة بنداء السديم
باختلاجات زرياب في حضرة العود
طول الدجى والنهار القليل؟

أسئلة عديدة في مجال الذاتية يوجهها لنفسه مع التحايل المعرفي حيث يقدم في ظروف أأحوالها جزء من حضارة البحث وعناصر الاجابة تحيط كل بداية، عندما يذكر انه ينزف موجها لصاحبه الذي يصفه بالسرمدي يكون قد نبش في رصانة احترام الحاضر المتعاقب، نتاج من حكمة مساندة في المعروف من تراكيب التكوين، ظهرت مقتضيات متنوعة من المعارف النافعة وبالعكس قد يحتويها نوع من الإسهاب، كأنه يقول ما هي الحقيقة وأين تكمن بوصفها حقيقة ؟ لنلامس شروطها، وهل الجمال مختنق لهذا الحد بغيب الإبتذال، ثم ينقض علىٰ لعبة التمييز كما يقول في آخر مقطع من القصيدة :

آه من سوف يسحبني من حطام المعارك
يمسحني بيد من غد ورياحين ملعونة
ثم يستلني من خطاي كشهقة سيف قتيل؟!

سيادة هذا الزمان تبعية وعملة تحجر سنم اعتابها، اما الواقع قائم رغم اي تفسيرات او اختزال ملتصق باستثمارات هجينة، يعمل نمر علىٰ الاستفادة من الموروث والآخر وما بينهما من تواصل في الافكار طارحاً نظرته هو نحو سواحل حدودها الزمن بلا اي تردد

يقبل بالمواجهة ولا يحسب حساب لما هو خارج كعب الأقبية التي لا شغل لها غير تفتيت الانسان مهما حاول طائرا نحو الاعلىٰ .

الشاعر نمر سعدي يحتل نوعـًا مميزاً من الكتابة في أسلوبه الشعري وجلُّ قصائده تعيش تحت وطأة هاجسه الفكري الحداثوي والمعاصر، تنتابه خاصية لها مؤثرات ونتاجه الأدبي من الشعر نماذجها تتمرَّغ بصوت مرتفع لما يتأمل ويأمل من المشهد العام فنمر سعدي شاعر قد يُلقَّب بالشاعر العام فهو كأنما يستمدُّ قاموسه الخاص من قصائد يحفر لها خنادقَ.. مشارفها لا تعرف حدوداً ومن ثمة يقاتل بنمطية تعطيهِ شهادة الإبداع في إشاعة أحاسيس الشاعر المعاصر العام، وفي نفس الوقت لا بد من العيش مع محيط لا هو رافض للمفردة ولا قابل لوجد مسننٍ علىٰ مدرجات الحياة.

*****

قراءة أوليَّة في ديوان يوتوبيا أنثى الملاك

د. بطرس دلَّة

ناقد وكاتب من فلسطين

هذا هو اسم احد ديواني الشاعر نمر سعدي من بسمة طبعون. اما الديوان الثاني فاسمه: "عذابات وضاح آخر"، الديوانان من القطع الصغير لشاعر لم يُعرف اسمه كثيرا في الصحف المحلية بعد، ومع ذلك فقد لفت نظري ديوان الاوتوبيا لما فيه من قوة في التعبير وانطلاق في الجرس الموسيقي حتىٰ ولو تعثر في بعض القصائد. هذان الديوانان ينتسبان الىٰ شعر الحداثة لما فيهما من التحرر من قيود الوزن والقافية والبحور العروضية المعروفة، خاصة لان الشاعر كنّىٰ عن نفسه اولا باسم وضاح سعدي، ووضاح هذا هو شاعر اموي كان اسمه وضاح اليمن، وكان قد شبّب بام البنين فدفنه الوليد بن عبد الملك حيا! وقد اتخذ شاعرنا اسم وضاح الذي وثقه علىٰ ديوانيه لانه يعتبر ما جاء في هذين الديوانين "كلمات مضيئة مزهرة في زمن الردة والهزيمة الروحية.. وقصائده فيها خروج عن موروثات

روحية حياتية جامدة في عالم بحاجة الىٰ من يصهر زيفه وزخرفه بنار حقيقية ويغسل صدأ دماء شموسه القديمة!! (صفحة 5-6)

الديوان" اوتوبيا انثىٰ الملاك" فيه خروج كبير عن المألوف سواء كان ذلك في التسميات او في جوهر القصائد وحتىٰ في شكلها. فلم يخطر ببالي وانا اطالع هذا الديوان "اوتوبيا انثىٰ الملاك" لم يخطر ببالي السؤال عن جنس الملائكة! هل هم ذكور ام اناث؟! واذا كان الاخ نمر سعدي يكني نفسه وضاح سعدي فلانه يؤمن ايمانا وثيقا ان بين الملائكة الذكور لا بد ان يكون هناك ملائكة اناث منهم الملاك الانثىٰ التي احبها وضاح سعدي وتعلق بها وعاش العذاب الشديد بسبب حبه لها. فعن قصة الحب هذه يدور ديوان الاوتوبيا صغير الحجم، والذي لا تتجاوز صفحاته الثمانين صفحة.

الشعر الغيبي او المبهم: يبدأ الديوان بقصيدة اوتوبيا انثىٰ الملاك فيمعن الشاعر بالغموض لدرجة انه يستعصي علىٰ القارئ العادي حل رموز هذا الغموض.

ومع ذلك لنقرأ ما يقول في هذا الصدد (ص – 3) "يغسل الماء من جاهليته بابتسامتها والظلام بتوبته/ عن شذىٰ شعرها المتناثر، في زرقتي/ الظلام الذي كان يصرخ في نقطة الضوء!" هذا نموذج واحد للغموض.

في قصيدته المذكورة (في صفحة – 8) اهتم بان تكون التعابير منطقية ولكن فيها الكثير من التعابير الي لا تتعلق بجوهر القصيدة. في هذه القصيدة يكتشف الاستاذ نمر موسيقىٰ الكلمات مما يجعل القارئ العادي يلهث خلف المعاني فالكلمات حبلىٰ بالمعاني وفوق طاقتها. ولنضرب لذلك المثال التالي الذي يبدو اكثر غموضا للوهلة الاولىٰ.

ما معنىٰ البيت التالي (من ص – 8)

"ويضيء لها قمر الدمع
فوق رصيف الابد"!

صحيح ان قمر الدمع لا يمكن ان يضيء الا اذا بكىٰ ذارف الدموع لكن هل هناك رصيف للابدية؟! وصحيح انه توجد طريق الىٰ الابدية عن طريق تأدية كل طقوس العبادة. فكيف اختصر كل هذا المعنىٰ ببيت واحد من الشعر؟!

وفي مكان آخر علىٰ سبيل المثال يقول (ص – 66)

بكاؤك مر يندّي صليب الجراح القديم
أفيء الى ظل نخلة قلبي.. منه
وملح جبال الحديد... بكاؤك!

فهل معنىٰ الشعر الاخير ان قلبها قد صدئ والا فما معنىٰ ملح جبال الحديد هذه؟

التكرار: يلجأ صاحبنا الىٰ بعض الالفاظ والتعابير علىٰ طريقة المعري في "لزوم ما لا يلزم" فلو راجعنا كافة صفحات الكتاب (حتىٰ ص 80) نهاية الديوان لوجدنا انه استعمل كلمة ازرق في عدة مواقع كما لو كان عاشقا لهذا اللون الجميل، يتكرر هذا المصطلح (ازرق او مشتقاته في الصفحات

3,5,8,16,26,28,30,36,37,48,56,61,65,66,74

أي ست عشرة مرة. صحيح انه يلجأ الىٰ هذا اللون الذي يحبه ست عشرة مرة الا انه يتفنن في مشتقات ومزيدات هذه الحروف الثلاثة فمرة ازرق ومرة الازرق ومرة زرقة او الزرقة او زرق او زرقاء وغيرها.

اما كلمة لازورد فتتكرر ايضا في صفحة 36,65,70,77 أي اربع مرات.

اما كلمة عصفور وعصافير فيكررها في ص 55 و 48، و 28 و 9 أي اربع مرات.

اما كلمة اصابع فتتردد في صفحة 22,23,28,47 و 74 ويكتفي بتكرار هذه الكلمة خمس مرات.

بينما يردد كلمة الموت ويموت اربع مرات فقط.

وكلمة غصن واغصان تتردد ثلاث او اربع مرات وهكذا ومع ان المراجع للديوانين يلمس ان قاموس الكلمات لدىٰ شاعرنا غني جدا بالالفاظ، الا ان لجوءه الىٰ تكرار بعض المفردات يجعل القارئ يشك في مقدرة الشاعر علىٰ الانطلاق في بحور اللغة كمن هو مقيد ببعض الكلمات، يكررها ويرددها في اكثر من موضع وهو ضعف لا مفسر ولا مبرر له

الناحية الفنية في ديوان الاوتوبيا:

كل شاعر انما يكتب حصيلة تجاريه ومعاناته في حياته حيث تنعكس هذه المعاناة حبرا علىٰ الورق ويشركنا الشاعر في تجربته الحياتية يضعها بين ايدينا ويترك الحكم لنا بالتالي.

واذا كان معظم شعراء فلسطين قد كتبوا اشعارهم من خط النار، فان شاعرنا لا يذكر المعاناة العسكرية والسياسية بمقدار ما يتحدث عن همومه الفردية، فاذا انطبقت هذه الهموم علىٰ القضية العامة فلا بأس، فالمهم انه ينحصر ضمن اطار الذات او الأنا وهو راض او مكتف بما قد حصل.

وعند شاعرنا نمر السعدي خزانة مليئة بالذكريات عندما كان يقرأ عيون الادب العالمي فيتأثر بها ويغرف من اثاث ذاكرته كلما

احتاج ذلك. وهو وقد ابدىٰ استعداده لتقبل كل نقد موضوعي فسوف يكون منفتحا لما اقوله في هذا الديوان من اجل ان يكون انتاجه افضل بكثير في المستقبل. فالشعر شهادة والنقد شهادة فوق الشهادة وارجو الا اكون قد قسوت علىٰ ديوان اليوتوبيا لنمر السعدي اللهم الا ما يتطلبه الموضوع.

الشعراء نوعان: نوع ذو نفس طويل يكتب المطولات او الملاحم، فيفيض الشعر عنده فيضا، ويشبع الموضوع الذي يكتب عنه وصفا وتشريحا وتحليلا من كل جوانبه.

ونوع يكتب بالقطارة مقل ومختصر فلا يكاد يتحدث عن الموضوع حتىٰ يقفز الىٰ موضوع آخر. وصاحبنا في "اوتوبيا انثىٰ الملاك" مقل جدا، حتىٰ ان ديوانيه صغيرا الحجم لا يزيد أي منهما علىٰ ثمانين صفحة. وفي ديوان الاوتوبيا يكتب المقاطع الشعرية التي قد لا تزيد علىٰ عشرة الىٰ اثني عشر بيتا فينتقل الىٰ المقطوعة التالية. وقد وجدت في الديوانين بعض المقطوعات التي كتبها عليالطريقة الكلاسيكية من الشعر العمودي، او الموزون المقفىٰ كما في قصيدة رقم 20 من الديوان ص – 20–21. وهي صغيرة لا تزيد علىٰ ثلاثة ابيات كتبها علىٰ البحر البسيط الذي تفعيلاته هي :مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن. في هذه القصيدة يلجأ الشاعر كما ذكرنا الىٰ البحر البسيط الموزون المقفىٰ مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن، بينما

تدور معظم قصائد الديوان علىٰ طريقة شعر الحداثة. في هذه القصيدة ينفعل الوزن والقافية معا ذلك ان الشاعر يريد ان يثبت للقارئ ان لديه المقدرة علىٰ كتابة الشعر الكلاسيكي المقفىٰ والموزون الىٰ جانب شعر الحداثة.

المضمون والعبارة:

معظم الديوان عبارة عن قصائد غزلية فهو يحب الجمال وهذا امر طبيعي وعادي، ويحلم بالوصال مع من يحب علىٰ امتداد الديوان، ولقد حاولت استقصاء الوطنية في الديوان فلم اجدها اللهم بعض التلميحات لما يدور في الساحة السياسية وهي قليلة جدا.

وهو اذ يصرح في المقطوعة رقم 4 قائلا:

"كنت احببتها عندما/ أمطرتنا انا وابا الطيب/ المتنبي مصائبنا/ كنت اعرفها جيدا/ حيث تبكي بلا سبب/ مثل عصفورة من حديد" ويضيف في المقطوعة التالية رقم 5 ص – 7 قوله:

لا يماثلها احد/ حيث تنظر في قاع روحي/ يضيء لها قمر الدمع/ فوق رصيف الابد."

فالتعابير هنا جميلة وبعيدة عن المنطق لذلك فهي موغلة في الغموض والابهام بغير طائل.

اما في المقطوعة السادسة ص – 8 فالجرس الموسيقي ينبض بشكل رائع حيث تحلق الكلمات والاستعارات والتشابيه بشكل مكثف يجعل القارئ يلهث خلف المعاني، ذلك ان هذه الكلمات حبلىٰ بالمعاني وفوق طاقتها بقوله: ص – 8.

ربما ربما في الاوتوبيا غدا/ اتقمصها حينما/ يتبلور في ذاتها/ صبحها الازرق الزنبقي/ وانا لا نبي/ ... حيث تعبر في الروح/ برقا يجر خطىٰ/ من انوثة آب/ انا لا نبي/ لأصنع من حزنها ظبيتين/ وعصفورتين.

مرثية الفارس الاخير:

هذه القصيدة في رثاء القائد الفلسطيني ياسر عرفات هي من اجمل قصائد الديوان الذي نحن بصدده. فهي من الشعر المحدث ولكن لا ابهام ولا غموض فيها وفيها من البلاغة وجمال التعابير الشيء الكثير، خاصة وان الكلمات وردت وفيها كثافة كبيرة وذات دلالات ابعد من مضمونها السطحي الواضح.

وكي يتمتع القارئ كما تمتعنا نحن فلنقرأ ما يقول في ص – 44 "كان ينظر من فرجة اللامكان/ (أي المقاطعة التي حوصر فيها ياسر عرفات في السنتين الاخيرتين) لما لا يرىٰ/ ويمسح جرح المسيح بما فاض/ عن قلبه من ندىٰ الزنبقة/ كان ينهض في روحنا من تراب الاغاني/ فتنهار مملكة الشر/ مشنقة مشنقة/ وهنا يشبه مملكة الشر

بانها مجموعة مشانق، ولذلك فانها تنهار مشنقة مشنقة! ويتابع: "فارس عربي اخير علىٰ مهرة من غضب"! فكيف تكون هذه المهرة المصنوعة من الغضب؟!

يذرع الليل لا يرعوي/ للبروق التي هطلت حوله/ من سيوف الاجانب/ كيما يوافي ابا ذر في نزعه/ وحده برده/ ورده/ المتدفق من سدرة المنتهىٰ/ فوق قفر العرب/ فوق قبرالعرب/ لا يروض حرية المعدن الحر/ في زمن من خشب/ اذًا القذائف تسقط من حوله فلا تصيبه، وهنا ايضا مفارقة جميلة ومقارنة بين سلاح العدو: الدبابة والطائرة الفولاذية والصواريخ علىٰ انواعها، مقابل الاسلحة البسيطة التي يملكها الفلسطينيون والتي يعبر عنها بكلمة "خشب."

وفي مكان آخر في قصيدته "تقاسيم علىٰ ماء جريح" يحلق شاعرنا في ذروة جديدة مليئة بالكثافة والتلميح العبقري بقوله: ص – 63:

تملئين ستائر نومي الشفيف المضبب/ باللوز والاقحوان!"

فالستائر المضببة لا يمكن ان تكون لبيت في جنة ارضية ولا في منحدر واد بل في رأس جبل يكتنفه الضباب، لان الضباب لا يحيط الا بالجبال في الغالب. هذا الاختصار الجميل، يجعل اللوحة المقتضبة واضحة المعالم ويجعل المعاني بعيدة المنال بسبب

الغموض الذي لا يعرف حل رموزه سوىٰ قارئ متمرس في قراءة الشعر.

في ص 12 ينتقل الىٰ الصلاة بشيء من العتاب لله الذي تخلىٰ عنا، فصدقناه وكذبنا انفسنا... لذلك ففي الزمن الآتي، زمن الاوتوبيا ستدمع عينانا ونمشي مصلّين في سبيلنا الىٰ الابدية دون انحراف.

اما في ص 18 فهو يلجأ الىٰ المقابلة وهي نوع من البلاغة فتستحم النجوم بعينيها ويستحم بعينيه "عباد الشمس" في المقطوعة 5 من قصيدة "تحولات لمرايا نرسيس" يقول في ص 25 فسحة لعذوبة مشيتها.

في نهاري الذي صفّدته/ شياطين انسيّة/ والتي راكعا خاشعا ناصعا دامعا/ بالوشاح الذي يتهدل من شفق زنبقي عليها/ بالعطر او/ بدموع الخصل."

انظر الىٰ هذا الوشاح الذي تهدل من شفق زنبقي ويرشح بالعطر وبدموع خصل شعرها" ص 25 اليس جميلا ومجددا مبدعا؟! فاذا ما شاع صوتها في دمائه فان احلامه تتأثث بالامل! وهنا ايضا نجد الكثير من التجديد والابداع عندما يصف حبيبته.

الإصرار علىٰ الحياة: في قصيدته رقم واحد يصر شاعرنا علىٰ الحياة لان "علىٰ هذه الارض ما يستحق الحياة"! حيث يقول:

"من جهة القلب/ يطلع من فلقة البدر حمراء شفافة/ تفطر الدم ذوب عذاب../ علىٰ السنديان الكئيب يغني المغني/ وينسىٰ باني/ الذي قتلته الحياة علىٰ صخرة الشهوات../ ففي الوقت متسع كي يعيد السماء الىٰ ذاتها في المغيب ص – 33.

فكيف اذن نفسر هذا الامل الكبير والتشبث بالحياة وفي الوقت متسع كي يعيد السماء الىٰ/ ذاتها في المغيب/ ان لم يكن المرء ذا ارادة حديدية كي يكون لديه هذا التمسك بالحياة؟!

وبما انه يملك حنينا شديدا وكبيرا لمعشوقته فانه يعود الىٰ اساليب الجاهليين وعشق فرسان الجاهلية! ومحاكاة فرسان اليونانيين وابطالهم الذين ابلوا بلاء حسنا في حصارهم لمدينة طروادة.

ولكنه يعود في ص 67 الىٰ السيد الامريكي سيد العولمة الذي يتحكم بمصائر مختلف شعوب الارض. فهو المليونير لا بل المافيونير، الآمر الناهي، والىٰ الزعماء العرب الذين تقمصوا دور يهوذا الاسخريوطي الذي باع سيده المسيح بثلاثين من الفضة وهو تلميذ السيد المسيح. فقد باع هذا الزعيم كتاب مزاميره، واصبح الفلسطيني فأرا (أي انسانا عديم القيمة) ليس اكبر من ماسح الاحذية عند منعطف الجادة الثانية. ولذلك فانه أي المناضل الفلسطيني يتحجر دمه كما الورد علىٰ قوائم القبور (جمع قائم او نصب

تذكاري).اخيرا، اعتقد اننا ازاء موهبة واعدة لشاعر متواضع هو الشاعر نمر سعدي، الذي كنّىٰ نفسه بكنية وضاح السعدي كما ذكرنا.

تحياتنا للاستاذ الشاعر نمر سعدي وقدما الىٰ الامام في مجال الابداع الشعري. طيب الله الانفاس!

*****

الحزن الموجود والأمل المنشود
لدى الشاعر الفلسطيني نمر سعدي

د.منير توما

شاعر وناقد من فلسطين

كان الاستاذ الشاعر نمر سعدي الذي يطلق علىٰ نفسه اسم وضاح سعدي، قد اهداني باكورة اعماله الشعرية المتمثلة بمجموعتين شعريتين اطلق علىٰ الاولىٰ عنوان "أوتوبيا انثىٰ الملاك" وعلىٰ الثانية اسم "عذابات وضّاح آخر"، وقد تمنىٰ عليّ ان اكتب تعقيبا او تعليقا علىٰ انجازاته الشعرية هذه؛ ونزولا عند رغبته تلك، فقد ارتأيت ان اتناول هاتين المجموعتين بالنقد والتحليل لما في ذلك من خدمة ادبية نحو الشعراء الواعدين الذين يسيرون في درب الابداع الادبي علهم يصلون الىٰ مبتغاهم الاسمىٰ بخطىٰ ثابتة وروح واثقة.

ان اول ما يسترعي الانتباه في مجموعة "اوتوبيا انثىٰ الملاك" هو العنوان الفريد من نوعه الذي اعطاه شاعرنا لهذه المجموعة، فالاوتوبيا هي الطوباوية والتي تعرّف بانها اتجاه مثالي، بمعنىٰ

خيالي، حيث يشتق من utopia الاغريقية بمعنىٰ المكان المتخيّل الذي لا وجود له علىٰ أي ارض، فاليوتوبيا بمعنىٰ الافضل، من eutopia أي الارض الطيبة، او الاصل الطيب، وفي القاموس المحيط "الطوبىٰ" شجرة في الجنة او الجنة نفسها، ومن ثم فطوبىٰ لك بمعنىٰ الخير والسعادة لك. والطوبىٰ علىٰ ذلك بالمعنيين معا هي الخيالي والافضل. وكان اول من استعمل هذا التعبير توماس مور 1478 – 1533 في كتابه "اليوطوبيا"، أي المدينة الطوباوية. وكان فيلسوفا انجليزيا انساني النزعة وهو يصور مدينة خيالية ذات نظم مثالية تضمن لافرادها اسباب الخير والسعادة. واصبح هذا اللفظ بعد ذلك يطلق علىٰ كل كتاب يصور النظام المثالي للمجتمع الانساني. ومن هنا فان الاستاذ نمر سعدي يبحث عن مكان طوباوي يمتاز بالخير والسعادة يلتقي فيه مع محبوبة في نظام مثالي ملائكي ينشد فيه الافضل مع ان ذلك يتواجد فقط في دنيا الاحلام والخيال كما يوحي اللفظ.

ويدرك شاعرنا من خلال كلمات قصائده انه يحلم بعالم لا يمكن الوصول اليه في هذه الحياة وان كان ينسج في خياله التأملات المنعمة بالامل المشوب بحزن ظاهر يعبر عن خيبة امله في تحقيق احلامه مع امرأة يعشقها تتمثل فيها السعادة والخير والهناء كأنها انثىٰ ملاك مع استحالة وجود مثل هذه المرأة، فالملائكة لا جنس لها،

لكن شاعرنا يمني نفسه بايجاد الانثىٰ المثالية ذات الطابع الملائكي الشفاف الجميل والبديع بجسدها ونفسها وروحها:

كان ينظر لي عبر بلور
دمع شفيف يحدّثني عن ضمير المدن
كان يحلم بامرأة لا تمشط أحزانه في الصباحات
إلا بما يترقرقُ في روحها
من حنين إلى شفقٍ
أزرقَ في فضاء الزمنْ
هي من صيَّرت قلبه سادناً
للجمال الذي ظلَّ
يبكي بدمع سيوف العرب
هي من صيَّرت روحهُ قبلةً
لأهلّةِ نيسان باحثةً
عن رياحِ المصبْ
آه، أُنثى ملاك
تنام على نوم سجني هنا
في ترابِ السماءْ
يصلّي لها الماءُ
يرفع من ساعدي
حفنة من شذى نبويٍّ

غدي حفنةٌ من
ضياء المقيمين في ليلِ أعضائها
وغدي حفنةٌ من عذابٍ
سيبذرها في دمي حبها (ص5-6)

وهنا يمثِّل "الحنين الىٰ شفق ازرق في فضاء الزمن" توق الشاعر للوصول الىٰ الضياء العاطفي والفوقية الفكرية حيث يرمز اللون الازرق الىٰ الحقيقة بايجابيتها ونورانيتها في عالم الانسان.

ويعود شاعرنا الىٰ ذكر "الشفق الازرق" وكأن شوقه او تلهفه الىٰ الاستنارة العاطفية والفكرية يؤرق كيانه ويستحوذ علىٰ مخيلته:

ربما ربما في يوتوبيا
بلا كلمات
التقيها اذا فرَّقتنا الحياة
فيغمرني ضوء نجمتها
ربما ربما التقيها أنا
في اوتوبيا الممات
نرتدي شفقا أزرق
ونطير بأجنحةٍ من
دموع الحرير لأنثى الملاك (ص 9)

وربما يكون تركيز الشاعر علىٰ اللون الازرق نابعا من كون اللون الازرق هو رمز هدوء واطمئنان النفس علىٰ صعيد التفسير النفسي لا سيما وانه يقرن "اوتوبيا الممات" باعتبارها رمزا للجنة في العالم الآخر مع "الشفق الازرق" رمز الامل في الوصول الىٰ مبتغاه في تحقيق السكينة والسعادة مع محبوبته في عالم طوباوي آخر يختلف تمام الاختلاف عن عالمنا هذا.

من اللافت في قصائد مجموعة "اوتوبيا انثىٰ الملاك" ان شاعرنا يتطرق بشكل بالغ الىٰ ذكر اسماء ادباء وشعراء وفلاسفة عالميين في الادب القديم والحديث امثال البير كامو وسفوكليس وبودلير وهومير وافلاطون ورمبو وكيتس وفيرجينيا وولف وناظم حكمت ومظفر النواب وغيرهم. علاوة علىٰ تسخيره للميثولوجيا العالمية والدينية لخدمة اغراضه الادبية والشعرية في طرح افكاره كذكره عشتار ويهوذا ونرسيس وايزيس وغيرهم. ومن المؤكد ان شاعرنا اراد من الاتيان باسماء هؤلاء الادباء والشعراء والفلاسفة وابطال الميثولوجيا، الايحاء بانهم جميعا كانوا من دعاة مجتمع طوباوي يتمتع بالسعادة والخير والفضيلة والحب.

الا ان الواقع المرير لم يتح لهم تحقيق احلامهم وخيالاتهم المثالية في الحب والطمأنينة وسلام النفس بنفس الكيفية التي يشعر بها شاعرنا من الاحباط والحزن والمعاناة وخيبة الامل. لكنه مع

ذلك ما زال مستمرا في البحث عن مدينته الفاضلة السعيدة التي يتوق فيها الىٰ امرأة معشوقة تشاركه السعادة، كما فعل غيره من المبدعين علىٰ مدار سنوات حياتهم:

وجه من الأبنوس
ضوءٌ نافذٌ في جلد هذا الليلِ
عطرٌ موصلٌ للحب والماضي
يوزِّع ما تناثرَ من شفاه الأُقحوانِ
على شفير الأرضِ...
نهرٌ طافح بدموعنا الأُولى
تعلِّقهُ الغيوم عليكِ...
يسبحُ في فضائك وجهُ أفلاطون
تكتبني رؤاك قصيدةً رعويةً
مائيَّةَ الألفاظِ مرجانيَّةً
وجهٌ من الأبنوسِ في جلد الظلام
يُشعُّ عطراً موصلا للحبِّ والماضي..
امتشقتك من بروقي
والبروقُ طفولةٌ أُخرى
كتابُ الروح والأبنوسِ
يوتوبيا السراب.

(ص 58)

وفي هذه القصيدة تتبدّىٰ رمزية الاستحالة في تحقيق الاحلام والخيالات التي تعتمل في ذهن الشاعر. و "البروق" هنا هي اشارة الىٰ قوىٰ لا يمكن السيطرة عليها او التحكم فيها تؤثر في العواطف.

كما ان البرق يتضمن معنىٰ التبصر في كيفية جعل الحياة تسير بانتظام

وهذا ايحاء طوباوي لما يدور في خلد الشاعر من تمحور حول الامل البعيد المستحيل الذي ينشده. ومن الملاحظ ان شاعرنا يقرن هنا الابنوس بالبرق، ولعل في هذا تلميحًا الىٰ لون خشب الابنوس الاسود الذي يرمز الىٰ المجهول والغموض والرهبة في مقابل البرق الوهاج الذي يشع نارا ونورا يستضاء به ويتم الاحتراق من خلاله. وقول الشاعر ان "البروق طفولة اخرىٰ" هو اشارة الىٰ الحب الذي يلمع ثم يخبو، وبالتالي فانه يرمز الىٰ الافتراق والانفصال كما يفترق الحبيب عن محبوبته بعد عهد الطفولة بكل ما فيه من براءة ومحبة وفضيلة.

ويأتي شاعرنا علىٰ ذكر الشاعر الفرنسي الكبير شارل بودلير في مقطع من قصيدة "تقاسيم علىٰ ماء جريح" (ص 61)؛ ومن حيث ان بودلير هو شاعر اللذة والالم وقصائده غنية بالصور، والخيال البكر، والعاطفة المتأججة الجامحة، فان الاستاذ نمر سعدي يستخدم في

هذا المقطع من القصيدة المذكورة عبارة "زهور الضباب" كاشارة الىٰ مجموعة بودلير الشهيرة "أزهار الشر" حيث يريد شاعرنا هنا ان يلمح الىٰ انه لا يرفض الحب العاطفي الجسدي المتأجج، بل انه ينشد في محبوبته المرأة تلك الشعلة البدنية التي يعشقها الحبيب كما يعشق الانسان نفسه بنرجسيته (نارسيسيته) الكامنة:

أحتويكِ أنا من زهورِ الضباب
وبودليرُ ينظر من فرجةِ
القمرِ المعدنيْ
شعَّ ملحك في كل جسمي
وغابْ
في بحيرة نرسيس وجهكِ...
مليونَ عامٍ وعامْ
يقبِّلُ نرسيسُ في نحرك القمر البابليْ (ص 63-64)

وحينما يقول الشاعر "شع ملحك في كل جسمي"، فان الملح هنا يشير ويرمز الىٰ ان الشاعر عليه ان يلوم نفسه علىٰ شيء في الحياة الواقعية لم يقم بارتكاب خطأ فيه. وهذا يؤكد ان الشاعر العاشق لا يستطيع مقاومة حبه الجسدي تجاه المرأة التي يعشقها لان هذه هي طبيعة الانسان الذي يعشق نفسه من خلال عشقه للمرأة كنرسيس الذي اعجب بذاته وعشق نفسه وهو ينظر في البحيرة التي ترمز هنا

الىٰ المرأة التي يرىٰ فيها الشاعر نفسه متيما بهواها وذائبا في عشقها. اما "القمر المعدني" او "القمر البابلي"، فانه يمثل الانثوية البدائية واللاوعي، وبالتالي يرمز الىٰ تجدّد الطاقة التي تغمر نفس الانسان في كل زمان ومكان وفي العالم الطوباوي الذي يرجوه الشاعر له ولمحبوبته المثالية ايضا.

ويستمر الاستاذ نمر سعدي بنغمة الحزن والابتئاس والمعاناة والاحباط في مجموعته الشعرية الثانية "عذابات وضّاح آخر"، ويبلغ الذروة بنغمته هذه في المقطوعة التالية:

وأنتَ يا وضاحْ
قطرةُ ماءٍ أنت في البحرِ
وفي الفضاءْ
ذرَّةُ رمل لم تزل تبحثُ في
السديمِ عن أضواءْ
عن جرعةٍ من عطشِ الأمطارْ
تهطل من أهدابِ
شمس عمركَ الصفراءْ
لتزرع العالم – هذا العالم
المدفون تحت الزمن المنسيِّ
في رمادهِ الحارقِ بالأشجارْ (ص19)

ويكثر شاعرنا في هذه المجموعة من استخدام الالوان كالاصفر والاحمر والاسود بكل ما في هذه الالوان من رمزية نفسية تعكس ما في داخل الشاعر من اختلاجات واحاسيس ومشاعر كامنة. فهو ينعت شمس العمر بالصفراء، واللعنة بالحمراء، والثلوج بالسوداء:

خمرية شواطئ الاحلام
والقصور
يا ضارب في لعنته الحمراء
كالاعصار
يا الطالع من شفاه جرح
امرأة النوار
من برقها المبتل بالاشجار...
خمرية شواطئ القلب
التي تبحث في ثلوجها السوداء عن منار
(ص25)

كما أنه يقرن وجه المرأة بالقمر الاسود:

وجهها والقمر الاسود عن
بعد يضيئان الطريق
بفتات الصدف الازرق
في جسمي العميق
بنبات غجري لامع تحت ندى

الصبح كتموز الغريق
طالعا كنت من الفكرة من
جوف المساء الحجري
عاريا الا من الشوق الى
كواكب الماء على شواطئ الغرب
ومن عينَّيْ نبيْ (ص 42)

ومن هذه المقتطفات الشعرية، يتضح ان شاعرنا تغلب علىٰ عباراته أجواء وأوصاف الحزن والغموض. فاللون الأسود هو رمز الاسىٰ والحزن وفيه ايماءات الىٰ ضرورة تغيير اسلوب الحياة لا سيما وان القمر يمتاز بتقلب الاحوال فلكيا. كما ان الثلج الذي يعطيه شاعرنا لونا اسود هنا، يتضمن رمزية للبرود العاطفي والخوف من الوحدة بغياب المحبين؛ وفي هذه الحالة غياب المحبوبة عن الحبيب الذي يرتجيها لتؤنس سواد وحدته، ولكن الثلج يوحي بأن الحبيب قد ادرك ان حبه لتلك المرأة التي اعتقد انه أحبها، قد خفت وأعتراه البرود. فالسواد جاء هنا لتأكيد الوحدة والعزلة والانفراد، وبالتالي مواجهة تغييرات وصعوبات في حياة الشخص.

ومع كل هذا، فان الشاعر يخاطب المرأة التي يهفو اليها قائلا:

روحك في جسمي..
تضيء النفق الاسود..

بالنوارس البيضاء.. (ص 55)

وهنا يكمن مبعث الامل الذي ينشده الشاعر في محبوبته، تلك المرأة التي ستخرجه من عالم الوحدة والخيبة بروحها البيضاء النقية الصافية التي ترمز اليه النوارس البيضاء التي ترمز ايضا الىٰ الحظ الجيد والىٰ آفاق الروح الحرة ذات المعنىٰ العاطفي التحريري للنفس المثقلة بالاحمال، والتي تصبو الىٰ الانطلاق والتحرر من قيودها واغلالها.

وكلمة اخيرة حول المجموعة الشعرية الثانية للاستاذ نمر سعدي، واطلاقه عليها عنوان "عذابات وضّاح آخر" حيث ربما يكون شاعرنا قد قصد ايراد اسم "وضاح" تيمنا بالشاعر "وضاح اليمن" (708 ميلادية) والذي عرف بجماله الآسر، وكان يتقنع لشدة جماله. ومن الجائز ان سبب اكثار شاعرنا من ذكر اللون الاسود في اوصافه يعود الىٰ هدف تلميحي ارادة شاعرنا عمدا وهو استرجاع صورة وضاح اليمن كعاشق شديد الوسامة يخفي جماله بقناع اسود، وهو الذي يرجح انه كان محظوظا في الحب بعكس وضاح الآخر الذي يصوره شاعرنا والذي يعاني الحزن والكآبة ويأمل ان يجد ضالته المنشودة في حبيبة تبادله الاحاسيس والعواطف الجياشة وتعيد له نشوة الروح ولذة الحب. ولنا في حب

وضاح اليمن لأثيلة، قرينة نستخلصها من الابيات التالية التي قالها وضاح اليمن في حبيبته أُثيلة:

صبا قلبي ومال إليك ميلا
وأرقني خيالك يا أُثيلا
يمانية تلم بنا فتبدي
دقيق محاسن وتكنّ غيلا
ذريني ما أممت بنات نعش
من الطيف الذي ينتاب ليلا
ولكن ان اردت فهيّجينا
اذا رمقت باعينها سهيلا

وختاما، يتضح لنا، ان الاستاذ نمر سعدي يتمتع بشاعرية واعدة، ويستحق كل ثناء واطراء وتشجيع علىٰ هاتين المجموعتين، راجين له مزيدا من الابداع والتقدم في عالم الشعر، مع أصدق التحيات واطيب التمنيات له بالتوفيق والصحة والازدهار.

*****

نمر سعدي يدخل حلبة الشعر حصاناً جامحاً

سهيل كيوان

كاتب وروائي من فلسطين

في عملي كمحرر أدبي تصلني كثير من" الدواوين" الشعرية فأبحث فيها برغبة صادقة عن الشعرلأقتبس شطرة شعرية واحدة للأشارة الىٰ أجواء الكتاب او ما يسمىٰ الديوان فلا أعثر،هذا يذكّرني في طفولتي عندما كنا نبحث في تلة الدريس الهائلة علىٰ البيدر عن حبة حمص واحدة فنجدها بعد لأي أو لا نجدها ! في ديوانيّ نمرسعدي من قرية (بسمة طبعون) الأولين وجدت كومة من الحب يشوبها القليل من القش! فكل قصائد الديوانين تمنحك الأحساس بأنها شعر وطبعا بتفاوت في جودتها ولكن جميعها فوق المستوىٰ العام الذي نراه في شعرنا المحلي وتؤكد للقارئ أن ما يراه هو لون الحبر الذي لا تفرزه الا قريحة شاعر، أنها الكلمات المخبوزة بنار الشعر والثقافة، و ليس أستعراضا سطحياً لبعض علامات الشعر بل هو تواشج وانصهار الفكرة الخاصة بالموروث الثقافي العام العربي والعالمي، في شعر نمر سعدي نلمس وجعا روحيا حقيقيا، لا اعرف

نمر سعدي ولم أسمع به من قبل، لكنه ترك رقم هاتفه علىٰ طاولة مكتبي، بعد مرور سريع علىٰ بعض القصائد هاتفته كي أهنأه وليطمئن قلبي، ويبدو أنني استكثرت هذه الثقافة علىٰ اسم محلي اسمع به لأول مرة، أصغيت لمحدثي فعزز ما سمعته منه ما كنت قد قرأته! سألته : لماذا لم تجمع ديوانيك بديوان واحد بدلا من ديوانين لأن كل واحد منهما يقع في حوالي 75 صفحة من الحجم المتوسط ! قال أن لكل ديوان مستواه وأجواءه، اذا فليس الطمع بالكمّ أغرىٰ الشاعر لأصدار ديوانين، وبالفعل عندما قرأتهما بتأن لاحظت أن ديوان " عذابات وضاح آخر " يختلف عن ديوان " أوتوبيا أنثىٰ الملاك " فالأول هو عبارة عن قصائد قصيرة كل واحدة في أقل من صفحة ! بينما في الثاني قصائد اطول وهي تنسج علىٰ منوال واحد استطيع القول انها تظاهرة المثقف! حيث نجد التربة الشعرية التي تنمو منها قصائده، يقول

"قال لي شاعرٌ
القصيدة أنثى تراودني في العشيَّات عن نفسها
ولكنني سأقولُ:
القصيدةُ غيبيَّةُ الروحِ
حسيَّةٌ في تشكلِّنا
أحرقتْ نفسها قبلةً قبلةً

في مهبِّ الصدى
القصيدة خلق المجرَّدِ في ذاتنا..
سرُّ معنى نبيلٍ لعشقِ الحياةِ سُدى
والقصيدة عشب جريحٌ على هامة الأبديَّةِ
ينزفُ أحزاننا والندى
قال لي آخري

نجد لديه مصافحات ومعانقات شعرية مع كثير من الشعراء العرب والعالميين، عندما سألته بماذا يشتغل كأنما شعر بالخجل حاول التهرب من السؤال ! وعندما ألححت عليه قال أنه عامل دهان وترميمات! لم يفاجئني بهذه الحقيقة التي أصبحت معروفة ! فنار الشعر لا تنمو تحت أسقف مضاءة بالفلوريسنت! لأنها تحتاج الىٰ الشمس الحارقة والعواصف والصواعق والسهوب ! تبادلت معه الحديث عن قراءاته، فكشفت قارئـًا ممتازاً! فهو يقرأ لمعظم الشعراء والروائيين الكبار العرب والعالميين ! وهو يكتب الشعر منذ 1995 ولكن وضعه المادي حرمه من اصدار ديوان شعري، الآن فقط يصدر ديوانيه الأولين بطبعة متواضعة جدا وهو في الثامنة والعشرين من عمره ! نمرقال لي بمرارة انه ارسل قصائده لقسم الثقافة العربي في وزارة المعارف الأسرائيلية التي تصدر سنويا عشرات الكتب ولكنها اهملت كتابه لثلاث سنوات رغم انها اصدرت الكثير مما لا

يستحق ان نطلق عليه اسم ديوان شعر او كتاب! نعم أوافق واشهد أن معظمها لا يرقىٰ الىٰ مستوىٰ شعر نمر! ولكن منذ متىٰ تصنع الوزارات واللجان المنبثقة عنها الشعراء الحقيقيين ! صدقني قد يكون في قرار اللجنة بعدم نشر شعرك نعمة وخير لا تتوقعه ! فالكتابة الجيدة وان كانت علىٰ ورق عادي وبسيط ستجد طريقها الىٰ قلب القارئ! ها قد بدأت طريقك وثق انك اذا واصلت طريقك هذا سيكون لك شأن شعري،وما عليك سوىٰ ان تقفز تلك القفزة الأولىٰ والمخيفة كالمظلي من الطائرة الىٰ الفضاء الرحب وستكتشف جمال الحرية وضرورتها لروح الشعر والأدب! أما اذا دجّنوك أو دجّنت نفسك بنفسك كما تفعل الأكثرية فستكون نسمة صيف جميلة ولكنها عابرة! وسوف تغيض شاعريتك كما غاضت شاعرية كثيرين بدأوا كخيول جامحة ثم قعدوا يجترون في حظائرالتدجين المكيّفة ومنهم كتاب وشعراء كادوا يصيرون كباراً نمريعد بديوان قادم تحت عنوان " نقوش علىٰ جناح نورسة زرقاء " مبروك لقرية بسمة طبعون، بالأمكان القول أنها انجبت شاعرا، وأريد أن أصلّي بأن لا يضيع شاعرٌ آخر من الجيل الشاب علىٰ الطريق كما ضاع كثيرون من قبله علىٰ منعطفات الوظائف والجوائز الخطرة!

*****

الشاعر نمر سعدي بين التفرُّد والتواصل

شاكر فريد حسن

كاتب وناقد من فلسطين

نمر سعدي من الشعراء الشباب الواعدين الطالعين من الجرح وبوتقة المعاناة والالم والكدح، وهو علامة مميزة في ادبه وابداعه ويتطور باستمرار ويزداد ترقيا في مدارك القصيدة ويجيد الرسم بالكلمات، وكلماته الوان قوس قزح، وينتشي بصوت العاشقين والحالمين ويشهد دفقة التكوين ويحيك نسيجا آخر للحياة والموت ويبعث طائر الفينيق من جديد، ويعلن عودة تموز وعشتار وايزيس، وعالمه الشعري عالم متنوع وعميق المناحي ومحدد ومتوتر القسمات، ومنذ ان قرأت اولىٰ قصائدة في التسعينيات من القرن الفائت وانا متحمس لقصائده التي تحمل رؤية انسانية دافئة ونفسا شعريا جديدا.

امتطىٰ نمر جواد الشعر وحلّق في فضاء الحداثة.. قصيدة النثر واثبتت رونقها وقوتها وقدرتها التعبيرية التي تمس اعمق المشاعر، ونشر بواكير قصائده في الصحف المحلية واصدرها في مجموعتين

شعريتين، الاولىٰ اختار لها عنوان"اوتوبيا انثىٰ الملاك" والثانية"عذابات وضاح آخر" ولاقت نصوصه الاستحسان لدىٰ القراء والنقاد الذين اجمعوا علىٰ جودتها واصالتها وجماليتها الفنية. من اولىٰ خطواته وتجاربه الشعرية ونمر سعدي يطارد الكلمات وتطارده الرؤىٰ ويستفز طاقة الروح،وتميز بطابع خاص ومختلف تجلىٰ في اسلوبه الشعري وقدرته علىٰ صياغة العبارة الشعرية ورسم الصورة بمرونة والابتعاد عن المباشرة والتقريرية،ومن اهم ملامحه وخصائصه الالهام والتجلي الشعري والتحكم في التواصل الجمالي والفني والقوة المشحونة بالتوتر، ويدهشنا بقصائده النابضة بالحياة والحركة الايقاعية والمترعة بالحزن والتشكي والانين والحنين الجزوع والرومانسية الحالمة.

ونمر سعدي المسكون بالنص الشعري يتألق في رؤياه ويتعمق الرمزية الشفافة، ولغته ايحائية والفاظه محكمة ودقيقة. وصوره مكثفة وجديدة وبالوان مختلفة،تارة تأتي صلبة ومندفعة وتارة رقيقة ورهيفة وشفافة، كنسيم الصباح، والدلالات عنده مغرقة في المعاني والكلمات تتساوىٰ مع حرقة الحدث وتتماوج في ظل العاطفة وتبدو عصية علىٰ الفهم في المرة الاولىٰ ويصعب الاستدلال علىٰ عناصرها وهذا ناجم عن كثافة التجربة.

وقصائد نمر تعبق باري الزمان والمكان ويطغىٰ عليها الخيال الرومانسي والصور العاطفية وتضطرم بالهموم الانسانية العامة وتلتصق بقضايا العصر وتعبر عن الهواجس والمشاعر الذاتية واللواعج الداخلية التي تعتمل في ذهنه وقلبه، وهي تفيض بالمعاناة النفسية والجراحات والاشجان والعذابات والخيالات والاوهام والاحلام والمثاليات وخيبات الامل ولوم الذات والهتاف للانسان ومكنونات الوجود ويستحضر فيها الرموز والشخوص التاريخية والاسطورية والميثولوجية واسماء الفلاسفة والادباء والشعراء ويوظفهم في خدمة اغراضه الشعرية وايصال فكرته ومن هذه الاسماء والرموز التي تتكرر بين ثنايا وسطور قصائده"عشتار وايزيس وفرسيس وفرجينيا ويهودا وسفوكليس وافلاطون ورامبو وبودلير والبيركامو وناظم حكمته ومظفر النواب وغيرهم.

ويقدم نمر سعدي في قصائده عصارة افكاره وعذابات تجربته الذاتية ويبوح بمشاعره المكبوتة ويصور حالته المتردية ونجده يبحث عن حب مفقود وامل ضائع وامرأة عاشقة تشاركه وتشاطره الهم والوجع والسعادة والفرح وينشد العيش في مجتمع انساني طوباوي مليء بالخير والحب والمحبة الانسانية والفضيلة والاخلاق واحترام الانسان مهما كان دينه ومذهبه وينتصر في النهاية للفقراء والمعذبين والمضطهدين في الشوارع والارصفة والمنحنية

ظهورُهم والمنغرسة اقدامهم في اخاديد التربة والارض المحروقة تحت ضربات الشمس القاتلة ويحدد لهم خارطة الطريق التي تقودهم الىٰ المدائن الخضراء حيث سنابل القمح ورايات الحرية ومرايا الشمس.

ومن قصائده المشوبة بالحزن والندب والتي تمثل لنزعة الانسانية وتجسد شاعريته الحقيقية،فنا ومقدرة وصدقا وابداعا واحساسا وعفوية،رثائيته لشاعر الحب والعذاب والمنفىٰ والمدن الفاضلة واحد الاعمدة السياسية لعمارة الشعر العربي، الراحل عبد الوهاب البياتي ويقول فيها:

فقير وفي قلبه محرقة/ يجوع ويطعم كل الجياع/ ويضرب للتائه الاروقة/ وفي مقلتيه يغيم الدجىٰ/ اذا ما سجا/ ويغرب في مقلتيه الشراع/ وكل السنونو الحزين الحزين/ فما زال طفلا من الحالمين/ نجوم حزيران صناعته علىٰ صدره/ ورائحة الخبز/ والتبغ في شعره/ ورائحة النار حتىٰ المطر/ وحتىٰ الزهر/ يرف اشتياقا الىٰ ثغره/ سلام وبرد وورد سلام/ علىٰ بطل عاشق لا ينام/ هو الارث مما تبقىٰ لنا من بلاد الشام/ ولا شخص يعرفه ها هنا/ اذا ما تكلم غير النخيل/ وغير الحمام/ ويحفظه الخوخ عن ظهر قلب/ وعن ظهر حب/ ويعرفه التين من الف عام/ وتوت الشام/ لقد عاش فينا بسيطا/ غنيا بشبر الغرام.. الخ.

وأخيرا، نمر سعدي انسان كادح وموهبة فياضة وصاحب رؤية وصوت شعري حداثي واعد ومتميز عن غيره من الاصوات الجديدة، ولامست قصائده الايحائية عمق الجرح واستطاعت مواكبة الزمن، واثبتت خطاه الادبية والفنية في النسيج الشعري والمشهد الثقافي المحلي ويواصل جهده الشعري ومسيرته الابداعية بغزارة وثقة،حاملا الوطن والانسان والحب في دمه وفؤاده ويأتينا بعبق من حبق ويستحضر الغيوم ويكثرمن استخدام الالوان السوداء الداكنة، فله الحياة ودوام العطاء والنجاح حتىٰ يتبوأ مكانته اللائقة في أدب الشباب.

*****

في ديوانهِ الجديد "موسيقى مرئية"

نمر سعدي صوت مختلف في شعرنا المحلي

سهيل كيوان

كاتب وروائي فلسطيني

يطل علينا الشاعر نمر سعدي من جديد، بنتاج شعري مرهف ومتدفق، في ديوان تحت عنوان موسيقىٰ مرئية، والحقيقة أن من يقرأ قصائد هذا الديوان لا تفارقه الموسيقىٰ والإيقاع ولا للحظة واحدة، عند قراءتك لقصائد المجموعة سوف تشعر أن بين يديك شعرا حقيقيا، وأن من كتب هذه الكلمات شاعر حقيقي يملك كل الأدوات الشعرية والفكرية وله فلسفة حياة تؤهله للقب شاعر، ولا أبالغ إن قلت أن نمر سعدي هو واحد من قلة قليلة بعدد أصابع اليد الواحدة ممن يمارسون كتابة الشعر المحلي ويستحق لقب أو تسمية شاعر، ولا نبالغ إن قلنا أن ما يحدث بالنسبة للشعر المحلي هو مجزرة شعرية فما نراه بالأطنان علىٰ الورق لا يحمل أية شاعرية فإما أنه سطحي وأقل من عادي ولا يرتقي حتىٰ الىٰ مستوىٰ النثر المراهق لطلاب الإعدادية،أو أنه مغلق لا مجال لفهمه ولا لترجمته الىٰ

العربية، وقد يكون خاليا تماما من العواطف والمشاعر الصادقة، ولهذه الأسباب شعرت بسعادة عندما قرأت نمر سعدي أول مرة قبل سنوات ولمست أننا في حضرة شعرية وشاعر له شأنه! قصائد نمر سعدي تذكر القارئ بالشعراء الكبار وتشدّه حتىٰ يقرأها الىٰ نهايتها، في قصيدته الأولىٰ يحاول أن يعرفنا ما الذي تعنيه له الحياة، تحت عنوان الحياة كما أنا أفهمها، وهذا مدخل فلسفي الىٰ الشعر والتعامل مع الكلمة أصلا لأنه طرق سؤالا بشريًا أبدّيا! كيف تفهم الحياة، فيقول، الحياة كما أنا أفهمها

لهفة لسماء ملونة بالنداءات
روح الينابيع تحملني مثل عطر الندى
زهوة للحصان المجنح فيَّ
احتراق الأباريق في قبَّة الليلِ
طعم النساء المدّجج بالنار
فوضى القصائد والأغنيات البريئةِ
نوم الأحاسيس في قاع نهر اللغة
واقتناص زهور الفراشات من أربعاء الرماد
والحلول النهائي للعشق في جسد الصبح
وهو يزفُّ البياض النبيل لقلب البلاد
شهوة من حرير تلف الفؤادْ

رفيف رخام الأنوثة أو لمعان القرنفل تحت السواد
الحياة كما أنا أفهمها
لا كما أنت تفهمها فتفسرها بالجماد

الشاعر ينقل لنا في هذه القصيدة فلسفته للحياة، وعشقه لمظاهرها الطبيعية، وهو يرىٰ ما لا يراه الناس، بل ينظر الىٰ الأشياء في حركتها الداخلية، ينظر الىٰ الجميل في هذا الكون ويستمتع به !

في قصيدته ما تشائين نموذج جيد للشعر الغنائي للإيقاع الدافئ

ها هنا ما تشائين لا ما أشاء
فأنا فارس من زمان مضى
وانقضى حبه.. مثل قطرة ماء
هوت في العراء
لون عينيك يثقب قلبي كما انغرس السيف
في زهرة الهندباء
ويطرحني نازفاً بالقطيفة أو بالحمام الملوَّن
أو بخطاك على كوكب معشب بالأغاني الجريحة
أو بالرؤى فوق صدر السماء
ها هنا ما تشائين لا ما أشاء

يمتاز الشاعر نمر سعدي عن معظم شعرائنا المحليين باتساع ثقافته وكثرة مطالعاته، وهذا ما يمكن أن نلمسه خلال جلسة سريعة

وقصيرة معه، فهو قارئ ممتاز، وبرأيي هذا ما يميز الشاعر أو الكاتب المتميز، وهذا بالطبع ينعكس علىٰ إنتاجه الشعري، وفي بضعة سطور نستطيع أن نستشف مدىٰ اطلاعه فيقول في قصيدة "سأختار جون دمو"

لا تحزن يا سيدي جان دمو
واسترح في قبرك المفروش
برائحة الصفصاف البري
فقصائدك وقصائدي ضاعت
وحبيبتك بغداد ضاعت
في زمن ضاع فيه كل شيء
حتى الضياع نفسه/ حتى هولاكو نفسه ضاع
آسف أنا على كل حرف كتبته...
كان نسمة صيف وشهقة أقاح وسوسن
ولم يكن نار طوفان هادرة
فليس هذا العهد الذي قطعته لك وللسياب
ولأمل دنقل ولنفسي
إن بي رغبة لإحراق العالم بعود ثقاب
لآخذ بالثأر لك من سنين التشرد والحرمان

ويمضي في قصيدته الجميلة هذه ليقول :

آه يا سيدي الشاعر
أحلم أنا بقصيدة هجاء واحدة
كانت على حافة لسانك وفي برية روحي
ولم تقلها طيلة عمرك الموزَّع في أبد الريح
قصيدة هجاء واحدة
بدل ألف قصيدة كتبتها في مديح الحب الكاذب
ونسيت إحراقها في أتون امرأة
وفي النهاية سأختارك
قبل اختيار محمود درويش ومثالِّية الحب والحياة
في النهاية الموجعة كحياتك
كالمآسي الإغريقية...سأختارك
قبل اختيار سرفانتيس وشكسبير ودانتي وغيرهم
آه يا جان دمو..كان أبناء الأولمب المدللون
يركلون سيزيف من الخلف
وهم يتضاحكون من مشيته المتثاقلة
سيزيف ابن الكلب لا لشيء سوى أنه طيب القلب
بينما الجلاد في الجانب الآخر
يخاطب السجناء قائلا:
أيها العاشقون لأسطورة سخيفة بالية تدعى الحرية

إنسوا الأفكار الحجرية في رؤوسكم
وامحوا كل العواطف النبيلة من قواميسكم المهترئة
فإنكم لستم في مشفى هنا
والذي يخالف التعاليم سيجلد حتى الموت
أو يُقدَّم لكلاب جلجامش الضارية كالنار

كان صوت الجلاد الخشن يجلجل في أغوار روحي
بينما أفكر في كتاب المدينة الفاضلة لأفلاطون
وكتاب الأوتوبيا للدوس هكسلي
وأنظر دامع الروح الى شعراء يأكلون وجبات بطيئة
من سياط النار في معتقلات الحرية
سأختار "جان دمو" في زمن الرعب

مبروك للشاعر نمر سعدي الصوت الشعري المختلف في شعرنا المحلي، ومبروك لنا هذا الصوت الجميل، يقع الكتاب في 123 صفحة من الحجم المتوسط ويحوي عشرات القصائد من العام 2001 حتىٰ 2008 طباعة دار النهضة الناصرة.

******

قطرة من محبرة الليلة الخامسة

نجاة الزباير

شاعرة وناقدة من المغرب

كوة صغيرة في جدار شعر الشاعر الفلسطيني نمر سعدي

من خلال قصيدة "وحدي مثقل برنينها"

"لو كنت لا أعرف نمر سعدي لظننت أنه شاعر ستيني، فحرصه علىٰ تقاليد قصيدة التفعيلة حد التقديس، يشجع علىٰ مثل هذا الظن..فضلا عن انتهاجه نهج الستينيين في محاولة غزل خيوط الواقع، ونسجها في نسيج رومانسي يتخذ من عناصر الطبيعة وعاءً لقضايا الفكر.

ثائر العذاري (ناقد عراقي)

يقول الشاعر:

شجرٌ وراء غموضها الشفافِ
في المقهى
وقلبي نجمةٌ أخرى

معّلقةٌ على الأغصانِ
لا مطرٌ يوافيني
بما ترثُ الأنوثةُ من بهاءٍ
ناصعِ التكوينِ
أحلمُ بانكساري
مثل نهرِ الضوءِ
موسيقى يرفُّ ...
كحفنةٍ بيضاءَ من عدمٍ
ومن ندمٍ
يهدهدني لكي يغفو أنايَ
هناكَ في قمرٍ حليبيّ
يطلُّ على الطريقِ العامِ
وحدي مثقلٌ برنينها الشفافِ
وردي مُشعلٌ بدمٍ
على الصفصافِ
تنقرُ فكرةٌ قلبي
عن الدنيا
وعن جدليّةِ
الشعرِ /الحياةِ/ الحلمِ..
عن كُلِّ إفتراضيٍّ

لكي أغدو جديراً
أن أمُرَّ على غدي
بخطى/ فراشاتٍ/ وأجنحةٍ
ملوّنةٍ /كوردٍ غامضٍ يعلو /
غزالاتٍ/حنينٍ موجعٍ
ويدي
صهيلُ الموجِ في
بلوَّرِ فينيقيَّةٍ
بدمِ الشموسِ وطعمها
امتزجتْ بخمرةِ أورفيوسَ
وراودتْ عن نفسها
الأزهارَ في جسدي
ويزحفُ ماؤها
ليمّسني الطوفانُ
ثُمَّ أفيقُ من صحوي
وينظرُ خوفها نحوي
ودهشتها رفيفُ حمامةٍ
بيضاءَ في عينينِ
ضائعتينِ
أمشي بضعَ خطواتٍ

لأدخلَ ظلَّ أركاديا
وأغرقُ في الفراغ. !..
ما كان يفصلها عن
الماضي
سوى نهرٍ من الأزهارِ
يفصلُ نفسها عن نفسها
ما كان يفصلني عن
المستقبلِ المنظورِ
غير غوايتي بنجومها
وحنينها المسموعِ
غير هوايتي بسدومَ
تشربُ ملحها عيناىَ
وهو يهبُّ من أعلى المجرَّةِ
مثل سربِ الطيرِ
أو غير المسافةِ
لا تُوّحِدّنا معاً!.....

نمر سعدي، هذا الشاعر القادم من حيفا الموغلة في الأسرار العلوية، نحو خيمة الشعر العربية الكبرىٰ، في جرابه مواويل الصحراء التي استقبلت كبار الشعراء.

نعم، هذا الشاعر المسكون بالتغير. يعتبر من الشعراء القلائل الذين تطيعهم اللغة بشكل سلس، يغزو قلعة التخييل فوق كتفيه عباءة الحلم، منتعلا خفين من جمر، ليصل بالقارئ إلىٰ أفق التصوير الشعري البهي.

يسكن نرجس الليل منتظرا لوتس النهار، مهاجرا في حوض التحديث، دون تجاهل تقاسيم الأرض الفراهيدية.

رؤية:

في هذه القصيدة يبدأ الشاعر رحلة ذاتية تسكنها أنغام إلهية، ينثر روعتها كلمات شفافة تأتزر بعطر الورد. فما هو هذا الغموض الذي سكنه ضبابا سيطر عليه ؟، فهل القصيدة هي الأنثىٰ الحلم التي زلزلت راحته، فجعلته يمشي بغير هدىٰ، يجلس في المقهىٰ غارقا في تأملاته، وهو يرتشف فنجان ذكرىٰ حبيبة تشع أنوثة وبهاء علقت قلبه فوق غصون الانتظار.؟، راكضا بخياله نحو موسيقاه الداخلية، يهمس لنفسه عن نفسه، وبعض من خصاله التي تركض وراء الحلم الذي يدغدغ وجوده، وهل الحفنة البيضاء هي روحه الكسيرة التي داستها أقدام الندم ؟

... يستمر الشاعر في الاستمتاع بجلسته الهادئة وهو مبحر في يَمِّ الوجود، متعمقا في جدليات فرشت عوالمه، محاولا اختراق مفاهيم تسطر كينونته .

إن نصوص المبدع نمر سعدي تتشكل في ثوب الحضارة التي تستلقي فوق كاهل التاريخ الإنساني، حيث يصطاد تألقه الدائم من الذات الغائرة في الحلم، وما هذه القصيدة "وحدي مثقل برنينها" إلا محارة ضوء ترمينا في شباك مجازية المعالم، غنية بأساطيرها و أقانيمها الخاصة.

نحن إذن؛ أمام شاعر يحمل مشعل الاختلاف، فبين الثلاثية الجدلية: الشعر / الحياة/ الحلم، تمر قوافله بثمار الحنين الموجع، والترقب قرب نافذة الشمس التي تصب خمرتها من دنان الغد المحمل بالتساؤلات الخفية.

هكذا تتعثر هذه القصيدة بين شفتي الاحتراق، وتتنفس من رئة النور الذي يستوطن أرض الطفولة، فيها غربة تقرأ أشعارها علىٰ مساء متوهج الخطوات، تمطر أطرافها غواية تلتحف كفي الأمل المرتقب، فأي سر هذا الذي جعل الحروف تهرول فوق أرضه دامعة الأحشاء، تغزل اللغة من دهشتها برق ألفاظها وهي تردد أنشودة أورفيوس. ؟،فتنفتح خرائط مليئة بالأقواس المبحرة في مدارات السفر عبر كل الجهات، ففي هذه القصيدة عوالم تتناسج بين اللفظ

والمعنىٰ،وتتدلىٰ قنديلا من بين دفتي التكوين، حيث تتمازج الأزمنة الشعرية، وتتحول أرضها من الإشتهاءات إلىٰ العزوف، متدثرة بكآبة غيرية سرعان ما تتحول إلىٰ عاشقة بلثام أخضر، تُغويه بفتنتها.وتركن لقصب أحزانها تتلو عليه بعضا من جنونها الجميل، فيغرق في فجرها.

امتزاج الغزل عنده يقف علىٰ عتبة الجسد المنفلت من شرارة التناسخ بمرآة الوجود،حيث يحملنا أثير الحروف نحو وطن لا يبنىٰ بغير الكلمات التي تستوطن مساحات الروح. ينسج خيوط المكان بجرح الماء، حيث يزهر اللوز حينا، وتترنح بين هدب الشاعر بكائية أمل دنقل حينا آخر.تتهجا فاتحة العالم؛ لتولد مدن تخييلية تهزم نيرون. لتوقد قناديل ضوئية تهز عرش الحلم، هنا يستلقي الشاعر؛ نبَضُهُ الأرض، وغليونه طوفان جلجاميش الشعري، يرصد تقاطيع الإنسان، ويلبس لغم الحضارات.

وما هذه القصيدة التي تصلي في محراب الانكسارات والأمل المرتقب،إلا نغما من مزامير نمر سعدي التي نتابعها باهتمام، و التي تفتح في صدر الخريطة الشعرية العربية هدير أمواجها التي لا تخطئها العين الثالثة.

غفوةٌ فوق صدر النهاية

لقد تأثر الشاعر المتميز نمر سعدي في قراءاته بالشعر العالمي والعربي، حيث عانق الكثير من حاملي القلم الكونيين. وكانت أشعاره أرضا لمعانقة الوجود، محاولا الغوص في أسراره.دون أن ننسىٰ الحرية كسؤال مركزي ينصهر فوق شفتي قصيده .

يقول في قصيدة "لهفة الفينيقْ" روحي تنامُ علىٰ تنفُّس...مائِها الدُريِّ في...أشعارِ هولدرلينَ...فيما جلدُها الرخوُ المضمّخُ...بالنعاسِ وبإنسيابِ العاجِ...يشهقُ في شراييني...ويعوي في شتائي...لم أقترنْ بفضائها اللغويِّ...إلاَّ كي أردَّ النقصَ....عن أسرابِ موسيقايَ...أقطف حكمة بيضاء...من بستان فردانيتي...أنا لهفة الفينيق...في غدها المحّنىٰ بالحدائق...والرماد الأرجواني المعطر"...

فهنيئا للوطن العربي بهذا الشاعر الذي يسكن مساحات التفرُّد.

*****

نمر سعدي: شاعرُ نداءِ الملحِ والنرجس

عبد المحسن نعامنة

شاعر من فلسطين

للأمانه أقولُ إن الصديق الرائع الشاعر الرقيق نمر سعدي من أكثر الشعراء الذين قرأت لهم مقدرةً علىٰ تسخير الطبيعة والإرث القصصي الملحمي للشعوب في شعره، هذه المقدره التي أُعطيت لنمر سعدي يجب أن تكون محط اهتمام النقاد والدارسين للشعر الفلسطيني، لانها مثيرة للاهتمام، إذ يمتلك نمر لغةً فائقة الروعه في هذا المجال ولكن للأسف، لا نبيَ في قومه، ونحن نقول لنمر استمر يا صديق اللغة والقصيده، إذ أن إطلالة واحده علىٰ شعرك الرائع من صديق حقيقي، خير لك من كل مداهنة النقاد وكذبهم.

نمر سعدي جندي الشعر المجهول، ملك الصور الجميله المفاجأه ومنبع الأُسطوره التي لا تنضب إذا حرك قلمه تجد نفسك أمام ريشة ترسم بغير توقُّف يحبِكُ اللفظ بطريقة مُلفته لينسابَ تزاوجًا لصور لا تتوقف، تُكسب القصيدة فسيفسائيتها التي تنعدمُ عند الكثيرين من غيرهِ من الشعراء، إذا قرأتَ لنمر تُستحضرُ أمامك الأسطورة، حتىٰ تظن نفسك أمام شلالٍ أُسطوري روماني إغريقي

عربي فرعوني بابلي لا ينضب، يقتلع نمر الصورة من مقلعه العلوي ويرسلها شهبـًا مبهرةً تجعلك تفخر بهذه الخامه الشعريَّة المتألقة... والمسكونة بنداء الملحِ كما في هذهِ القصيدة..

(في ذلكَ الليلِ الشبيهِ بنشوةٍ مطويَّةٍ فوقَ السريرِ، وبالسواحلِ في بلادِ اللازوردِ، رأيتُ عاشقةً يمرِّرُ شاعرٌ يدَهُ علىٰ أوتارها، في حزنِ ريلكة كانَ، أو في شوقهِ الأبديِّ لامرأةٍ تخضِّبُ ظهرَها غيتارةٌ غجريَّةٌ، وينامُ فوقَ وسادها قمرانِ، كادتْ أن تهمَّ بهِ وكادَ يسلُّ منها الظبيةَ، الأفعىٰ، الحمامةَ، والفراشةَ، والسحابةَ، لوعةَ الناي، احتراقَ الماءِ في جسدِ الكمانِ، القطَّةَ الأحلىٰ، ويطلقُ قلبَهُ في شكلِ قنديلِ البحارِ يطيرُ في أبدٍ، ليتبعَ عطرَها في ذلكَ الليلِ الغريبِ أو الشبيهِ بنشوةٍ مطويَّةٍ فوقَ السريرِ، كقبلةٍ منسيَّةٍ، كقصائدِ اللاندايِ، هل من خصلةٍ ورديَّةٍ، أم من نداءِ الملحِ في دمنا سينبلجُ النهار؟)

نمر سعدي شاعر أعشق شعرهُ الذي يذكرني بعظمة السيَّاب، يخنق ذاكرتي بصوره الموجزة المأخوذة من لوحة مشاعر جياشة ناطقة وضاجَّة بهدير الحياة، زارني اليوم بالصدفة في عملي في قريته الجليليه بسمة طبعون التي تختبيء بين غابات البلوط... تحادثنا لساعة علىٰ وقع هدير الآليات الثقيلة، رأيت شاعراً حقيقيـًا وإن اختار أحيانـًا أن يصمت، نمر شاعر البحيرات والحوريَّات وحزم النور والنرجس والأُقحوان، صوت فلسطيني جميل يستحقُّ كل الثناء.

سيرةٌ شعريَّة

نمر سعدي من بسمة طبعون الواقعة شرق مدينة حيفا، وهي قرية جليلية معروفة بجمال موقعها.

بدأ بنشر بواكير أشعاره في صحيفة الإتحاد الحيفاوية منذ عام 1999.

يتميز شعر نمر سعدي بقدرة على التعبير اللغوي، والتصوير الفني على حد سواء، متكئًا، في هذا وذاك، على خيال جامح منفتح على الاتجاهات كافة، يمتح من تناصات ذات حمولات متعددة، موروثات ثقافية، وإشارات إيحائية، وأخرى رمزية وأسطورية، منها الخاصة، عربية وشرقية، ومنها العامة، أجنبية وغربية، تحيل إلى دلالات متعددة، قد تنأى عن كل ما هو نمطي أو متعارف عليه، أي وفق المنظور الحداثي، ولا يعدم القارئ في ثنايا شعره فكرًا وذوقًا وإحساسًا ومعرفة ورؤيا. تنصتُ أشعارُهُ لهموم التجربة الحياتية وتزخمُ بالموسيقى الهادئة.

نمر سعدي واحد من أصحاب الأصوات الجديدة في الساحة الشعرية الفلسطينية، لما يمتاز شعره به من طاقة إبداعية، وغزارة في النتاج، ومخزون ثرّ من الموضوعات المتعددة، وهو يكتب قصيدة التفعيلة، ومن حين لآخر، أيضًا القصيدة العمودية، وقصيدةَ النثر.

كرَّمته مؤسَّسة الأسوار في عكا عام 2007.

صدرَت له الدواوين الشعرية التالية:

عذابات وضَّاح آخر / 2005 / مطبعة فينوس/ الناصرة

موسيقى مرئية / 2008 / منشورات مجلة مواقف/ الناصرة

كأني سواي / 2009 (ديوان في ثلاثة أبواب) منشورات دائرة الثقافة العربية / دار نشر الوادي / حيفا

يوتوبيا أنثى / 2010 / منشورات مركز أوغاريت للترجمة والنشر / رام الله

ماء معذَّب / 2011 / منشورات مجلة مواقف / الناصرة

وقتٌ لأنسنةِ الذئب / 2014 / دار النسيم للنشر والتوزيع/ القاهرة

تشبكُ شَعرها بيمامةٍ عطشى / 2014 / دار النسيم للنشر والتوزيع / القاهرة

وصايا العاشق / 2014 / دار النسيم للنشر والتوزيع / القاهرة

موسيقى مرئية / طبعة ثانية / 2015 / دار سؤال/ بيروت / لبنان

رمادُ الغواية / 2017 / دار الانتشار العربي/ لبنان/ بالتعاون مع نادي الباحة الأدبي / المملكة العربية السعودية

استعارات جسدية / 2018 / دار العماد للنشر والتوزيع ومركز عماد قطري للإبداع والتنمية الثقافية / جمهورية مصر العربية

تُرجمت له عدة قصائد الى اللغات الانجليزية والرومانية والصينية والعبرية.

نشر قصائده ومقالاته في الكثير من المواقع الأدبية والثقافية على الشبكة العنكبوتية مثل كيكا والندوة العربيَّة والحوار المتمدّن والمثقَّف وديوان العرب وجماليا ومركز النور، وفي المجلات والصحف المحلية مثل الشرق ومواقف والإتحاد وكل العرب والأخبار وفصل المقال والحياة الجديدة بالإضافة إلى نشرهِ في مجلات وصحف العالم العربي المرموقة مثل أخبار الأدب المصرية والآداب اللبنانية والدوحة القطرية والنهضة

السورية والأهرام المصرية والقدس العربي وعكاظ السعودية والخليج الاماراتية والعرب اللندنية والعربي الجديد والنهار اللبنانية وغيرها.

كما أنَّ لمجلة الكلمة الالكترونية التي تصدر في لندن ويحرِّرها الناقد المصري الكبير الدكتور صبري حافظ دوراً هاماً في التعريف بتجربة نمر سعدي الشعريَّة من خلال نشرها لقصائدهِ ونصوصه النثرية ودواوينه.

الفهرس

استعارات جسديَّة لنمر سعدي 3
ساعاتٌ على أرجوحةِ الريح 7
"استعارات جسديَّة" للشاعر نمر سعدي خرائطُ الجرحِ في طينٍ أثيم 11
تلويحةُ حب للشاعر الفلسطيني نمر سعدي في الأرض البعيدة!! ..17
نمر سعدي: الشاعر الذي يغمد الريشة في دمه ويكتب.....25
نقوشٌ بريشةِ الضوءِ.....31
نمر سعدي: الشعراء فوضويون وقصائدهم رسائل شخصية 41
الشاعر الفلسطيني نمر سعدي: الكتابة غواية محفوفة بالمكر 49
تأملات في قصيدة "حيفا تشبكُ شَعرها بيمامةٍ عطشى" 55
تأمُّل في وقتِ الأنسنةِ الذئبيَّة (قراءة في ديوان وقتٌ لأنسنةِ الذئبِ) 67
الفلسطيني نمر سعدي في "وقتٌ لأنسَنةِ الذئب" قصائد تحمل روح الخسارة وتهدي نفسها "إلى الهباء".....75
"موسيقى مرئية" نموذجًا: تجليَّات الحداثة عند الشاعر الفلسطيني نمر سعدي 79
الشاعر نمر سعدي : فوضوي جميل يعيش بين أمكنة المرئي واللامرئي.....99
الاستثمارُ والتحوُّلُ في رؤى الشاعرِ الفلسطينيّ نمر سعدي 107
نمر سعدي بين اللازورد الموسيقى والتاريخ 113
نمر سعدي.. الرومانسي الجديد 119
للأنا قاموسٌ وللشعرِ أحلام قراءة أوليَّة في قصيدة (البهاء المراوغ)127

قراءة أوليَّة في ديوان يوتوبيا أنثى الملاك..... 139
الحزن الموجود والأمل المنشود لدى الشاعر الفلسطيني نمر سعدي
..... 151
نمر سعدي يدخل حلبة الشعر حصاناً جامحاً 165
الشاعر نمر سعدي بين التفرُّد والتواصل 169
في ديوانهِ الجديد "موسيقى مرئية" نمر سعدي صوت مختلف في
شعرنا المحلي..... 175
قطرة من محبرة الليلة الخامسة 181
نمر سعدي: شاعرُ نداءِ الملحِ والنرجس..... 189
سيرةٌ شعريَّة 191